

**تفسير سورة الحجرات**

د. عادل الغرياني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه محاضرات في سورة الأدب سورة الحجرات فيها وقفات تدبرية وأخلاق إسلامية، وحكم ربانية، وقواعد اجتماعية، لا يتخلى عنها عاقل ولا يغفل عنها أصيل كريم، ثماني عشرة آية

تجمع الأخلاق والتربية، فتربي المسلم وتؤدبه مع ربه ومع رسوله ومع نفسه، ومع إخوانه ومع الناس جميعًا.

سورة تشريعات من تأمل فيها تقرب للحق واجتهد؛ ليكون من أهل التقوى فإن أكرمكم عند الله أتقاكم، فهذا ميزان الكل أمامه سواسية.

سورة تجمع بين العقيدة والأخلاق، سورة حوت نداءات الرحمن وأسماء وصفات فلا بد من تعلمها وتعليمها لأولادنا ونشرها بين الناس.

وهي من الأهمية بمكان؛ كي نجعلها في خطبنا على المنابر ليسود الأدب ويزيد الاحترام، فرسالة النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق".

ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف قدر كبيرنا، فهذه إشارات لتبين لنا بأن ديننا هو دين الأخلاق، وقيل الدين خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين.

والله أسأل أن يتقبل منا ومنكم ويؤدبنا ويؤدب أبناءنا.

عادل الغرياني

فقبل الشروع في تفسير سورة "الحجرات"، فإنه لا بد من مقدمة للحديث عن مسائل مهمة تتعلق بالسورة، وهي **مسائل:**

وقد نزلت سورة الحجرات بعد سورة المجادلة وهي تقع في الجزء السادس والعشرين كما تقع في الحزب الثاني والخمسين.

وتقع سورة الحجرات بين الربع السادس والريع السابع، وتدور سورة الحجرات حول دعوة الله سبحانه وتعالى للمسلمين بالالتزام بالأخلاق الحميدة والاحترام، خاصة عند معاملتهم للنبي صلى الله عليه وسلم.

• فقد أمر الله سبحانه وتعالى الصحابة بألا يقوموا برفع أصواتهم على صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أمر الله تعالى بحسن معاملته والطريقة الصحيحة للقيام بذلك، هذا وقد أمر الله تعالى عباده بأن يقوموا باحترام حرمات الحجاج، وأمرهم الله تعالى أن يقوموا بمراعاة حرمة أمهات المسلمين، كما قد أكد الله سبحانه وتعالى المسلمين بإطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتنفيذ كل ما يقول لضمان حسن الجزاء والثواب.

**- اسم السورة:**

فإن كثيرًا من السور ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سماها بذلك، كسورة البقرة، وآل عمران، والنساء، وبراءة، والكهف، وغير ذلك.

وهناك سور لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه هو الذي سماها، ولكنه ثبت عن الصحابة، كسورة المائدة، وسورتنا هذه.

فقد صح في مسند الإمام أحمد عن الحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه أنه ذكر سبب نزول آية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: 6]، أنه قال: "فنزلت الحجرات".

ثم سار على تسميتها بذلك التابعون والعلماء في تصانيفهم وكتبهم.

ولم يعلم لها اسم آخر كبعض السور، وإنما سماها العلماء بـ"سورة الأخلاق".

**- في معنى اسمها:**

الحجرات: جمع حجرة، كظلمات جمع ظلمة، وتجمع أيضًا على الحجر مثل غرفة وغرف.

والحجرة: أوسع من البيت، فهي الشيء الجامع للبيوت.

روى الإمام أحمد عن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إني أحب الصلاة معك، فقال:قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي.

الحجرة مأخوذة من الحجر، وهو المنع، ومنه أطلق على الحرام الممنوع حجرًا؛ كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ ﴾ [الأنعام: 138].

ومنه: الحجر على السفيه والمفلس في الفقه، وسمي العقل حجرًا لمنعه عن القبائح، قال الله تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾ [الفجر: 5].

وحجر الإنسان وحجره - بالفتح والكسر - حضنه؛ لأن الشيء في الحجر معناه أنه في حمايته، فيمنعه من الضرر والأذى.

والحجرة سميت بذلك؛ لمنعها الناس من الوصول إلى ما يحفظ من الأعراض والأموال.

**الحكمة من تسمية السورة بالحجرات:**

قال الزركشي رحمه الله في "البرهان"1 /270-271: "ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق، أو صفة تخصه ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز"؛ اهـ.

قال الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله: "ووجه تسميتها أنها ذكر فيها لفظ الحجرات".

والحق أن هذا ليس كافيًا لتسمية السورة بذلك.

إنما جاءت السورة لتبني ركنًا من أركان هذا الدين، ألا وهو طاعة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، فأراد الله أن يؤدب بعض من لم يحسن مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث صاروا - كما سيأتي معنا إن شاء الله - ينادونه صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات: 4]، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات: 5].

فهنا على المسلم أن يتأمل جيدًا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات: 4]، فإنه إذا كان الذي يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بمثل هذه الطريقة اعتبره الله تعالى غير عاقل وهو أمر يبدو دقيقًا صغيرًا، فكيف بمن ترك تعظيم أمره ونهيه؟ فلا شك أنه أدنى منزلة وأحط مرتبة.

فكان اسم السورة يذكر المؤمنين بهذه الحادثة؛ حتى يعظموا نبيهم صلى الله عليه وسلم في كل شؤونهم وجميع أحوالهم.

**\_ فضل سورة الحجرات:**

سورة الحجرات من مفصل القرآن، بل أول سور مفصل القرآن، فقد روى الإمام أحمد عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:أُعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل.

فالسبع: هن السبع الطوال، وذلك من "البقرة" إلى "براءة".

والمئون: ما كان فيها مائة آية فأكثر.

والمثاني: هي سورة الفاتحة.

أما المفصل فالمراد به السور التي كثرت فصولها، وهي من "الحجرات" إلى آخر القرآن على الصحيح كما في "فتح الباري"9/74.

وليس هناك دليلٌ خاص يدل على فضل سورة الحجرات بعينها إلا ثناء العلماء سلفًا وخلفًا على أحكامها، وقد ذكر بعض المفسرين لفضلها حديثًا موضوعًا وهو: من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه.

فلم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث صحيح مخصص في فضل سورة الحجرات، بيد أن بعض الناس يتناقلون بعض الفضائل لسورة الحجرات فيما بينهم مثل: أن سورة الحجرات قد تكون سببًا في جلب الرزق، أو أن سورة الحجرات قد تكون سببًا في تسهيل أمور الزواج، والصحيح أنه لا صحة لهذا الكلام، ولا لهذه الفضائل، إذ إن هذه الفضائل المذكورة لا تستند على أي أحاديث وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم بوجه صحيح.

إن ما ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أحاديث في فضل هذه السورة لا يصح، ومن ذلك ما يروى عن الصحابي الجليل أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد من أطاع الله وعصاه"، وكذلك في الحديث الآخر الذي يروى عن الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي ذات يوم: "يا علي، من قرأها كان في الجنة رفيق سليمان بن داود، وله بكل آية قرأها مثل ثواب المحسنين إلى عيالهم"، فكلا الحديثين لا يصح أن ينسبه أحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويظهر فضل سورة الحجرات من تسمية العلماء لها بـ" سورة الأخلاق"، وذلك لما حوته من الآداب الجليلة والأحكام النافعة، فهي اشتملت على أنواع الأدب كلها:

- فمن الأدب مع الله عز وجل:

1- ألا يقدم العبد قولًا ولا رأيًا ولا شخصًا على قوله سبحانه.

2- وألا يتسرع المؤمن في أمره حتى يعلم حكم الله فيه.

3- تكرار الأمر بتقواه سبحانه وتعالى.

4- ألا يمن أحد على الله إسلامه وطاعته.

5- ألا يزكي المرء نفسه على الله.

مراقبة الله تعالى التي تضمنها قوله تعالى: ﴿ والله بصير بما تعملون ﴾.

6- تذكر فضل الله وشكره على أن هدى عباده إلى الإسلام.

تذكر فضل الله وشكره على أن حبب لعباده الصالحين الإيمان وزينه لهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

7- اليقين في الله وأمره، والبعد عن الارتياب في أمور الإيمان، وغير ذلك مما يأتي في السورة.

**- ومن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:**

1- ألا يتقدم أحد بين يديه بأمر ولا نهي.

2- ألا يقدم أحد قوله أو قول من يعظمه على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الأدب في ندائه ومخاطبته.

3- على المسلم أن يتهم رأيه لا سنة النبي صلى الله عليه وسلم إذا بدا له أنه لا يوافق حاله، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ [الحجرات: 7].

4- ترك المن عليه بالاتباع والطاعة.

**- ومن الأدب مع الخلق:**

1- فعند التخاطب نخاطبهم بجميل الخطاب والطيب من القول.

2- ترك السخرية منهم والاستهزاء بهم.

3- ترك مناداتهم بما يكرهون من الألقاب.

4- ترك ظن السوء بهم.

5- ترك التجسس عليهم.

الحذر من اغتياب واحد منهم.

توقير التقي والفاضل منهم ومعرفة حقه.

6- تعليم الجاهل منهم بالحسنى.

الأخذ على يد ظالمهم ونصرة مظلومهم.

**- ومن الأدب مع النفس:**

1- حثها على العمل بطاعة الله وتخليصها من العذاب في الدنيا والآخرة.

ترك مدحها وإنزالها فوق منزلتها.

2- توطينها على التثبت من الأخبار والتأني في الأحكام.

3- تدريبها على الخير.

4- حملها على الحكم بالعدل والقسط.

5- إزالة الشك عنها.

6- فعل ما يجلب لها الوقار والاحترام.

وغير ذلك من الأمور النافعة، مما يدل على فضلها، وأنها على وجازتها ومجيئها في ثمانية عشر آية تراها حوت هذا الخير كله.

**\_ هل هي مكية أو مدنية؟**

هي مدنية باتفاق أهل العلم؛ أي: مما نزل بعد الهجرة، وحكى السيوطي في "الإتقان" قولًا شاذًا أنها مكية، ولا يعرف قائل هذا القول، وهل بنيت الحجرات إلا بعد الهجرة؟

وفي "أسباب النزول" للواحدي رحمه الله أن قوله تعالى:يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثىالآية، نزلت بمكة في يوم فتح مكة، ولم يثبت أن تلك الآية نزلت بمكة، ثم لو ثبت فإن العبرة بالزمان لا بالمكان.

**أسباب نزول سورة الحجرات:**

• أما عن سبب نزول سورة الحجرات، فقد نزلت السورة عند وقوع الخلاف الذي حدث بين الصحابي أبي بكر الصديق رضي الله عنه والصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد ارتفع صوتيهما، فنزلت الآية الكريمة التي تمنع ارتفاع الصوت في حضور النبي صلى الله عليه وسلم، والتي فيها قال تعالى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: 2].

كما جاء في الحديث الذي يوضح الموقف والذي يرويه عبدالله بن الزبير: أنه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زرارة، قال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك:يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا، حتى انقضت.

• ومن أسباب نزول سورة الحجرات هو قدوم بعض العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمعوا منه، فإن أصاب اعتبروه نبيًّا، وإن لم يصب وكان ملكًا استفادوا منه، فنزلت الآية الكريمة من سورة الحجرات: ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ [الحجرات: 4].

• كما جاء أيضًا في الحديث الشريف ما يوضح هذا الموقف ورد هذا الحديث عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال:اجتمع أناس من العرب فقالوا: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يك نبيًا فنحن أسعد الناس به، وإن يك ملكًا نعش بجناحه، قال: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرته بما قالوا، فجاؤوا إلى حجرة النبي صلى الله عليه وسلم، فجعلوا ينادونه وهو في حجرته: يا محمد يا محمد، فأنزل الله تعالى: إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون، قال: فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذني، فمدها فجعل يقول: «لقد صدق الله تعالى قولك يا زيد، لقد صدق الله قولك يا زيد.

• من أسباب نزول سورة الحجرات أن والد زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن ضرار من بني المصطلق قد أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أعلن إسلامه والتزم بالصلاة والصيام والزكاة، وقد اقترح على النبي صلى الله عليه وسلم أن يذهب إلى قومه ليقوم بجمع الزكاة منهم، فوافق رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتفق مع الحارث أنه سوف يبعث برسول إليه ليتسلم من الحارث مبلغ الزكاة.

• وبعد أن قام الحارث بجمع الزكاة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة رسولا للحارث لإحضار الزكاة، وفور وصول الرجل إلى مكان بني المصطلق، خاف الوليد بن عقبة، وعاد مخبرًا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحارث قد رفض دفع الزكاة وكاد أن يقتله، فقرر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرسل بعثة إلى بني المصطلق لتأديبهم.

• وكان الحارث عند تأخر رسول النبي الذي كان قادمًا لأخذ الزكاة، قد استشار كبار قومه وقرر الذهاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يسلم أموال الزكاة بنفسه، فوجد الرجال يحضرون للحرب ضد بني المصطلق، فدخل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مخبره أن الرجل كاذب، وأنه لم يلتقيه فنزلت الآيات الكريمة من سورة الحجرات؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: 6].

**التناسب بين بداية سورة الحجرات ونهايتها:**

• جاء في بداية سورة الحجرات قول الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ﴾، وجاءت في نهاية السورة قوله تعالى:﴿ إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون ﴾، وهناك ربط عجيب بين بداية السورة ونهايتها؛ حيث أمر الله تعالى المؤمنين في بداية السورة بألا يتحدثوا بما لا يعلمون في دين الله، وأن يلتزموا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله الشريفة، وقد اختتمت الآية بقوله تعالى: إن الله هو من يعلم الغيب في السماوات والأرض وهو مطلع على أفعال العباد.

**التناسب بين سورة الحجرات وما قبلها:**

قد يقال: لما قال في الفتح لرسوله بالرسالة وعظَّمه ومدح أصحابه، ووصفهم بجميل الصفات، ووعدهم بالمغفرة والأجر، وأرشدهم إلى ما يليق بدورهم في معاملته وحرمته وتعظيمه، فقال: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الحجرات: 1]، ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ [الحجرات: 2]؛ تأديبًا لهم وإتمامًا لكريم أوصافهم.

وأيضًا لما قال: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ [الفتح: 11]، أتبعه بقوله: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ﴾ [الحجرات: 14]، فناسب قوله: ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: 14]، وقوله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [الفتح: 11].

**التناسب بين سورة الحجرات وما بعدها:**

ـ ذكر سبحانه المؤمنين في أواخر سورة الحجرات وفي من أسلم ولم يدخل الإيمان قلبه، وذكر الكافرين في أوائل سورة ق، وقد قال سبحانه في سورة الحجرات مخاطبًا المؤمنين:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات: 12].

**وقال فيمن أسلم ولم يدخل الإيمان قلبه:**

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات: 14].

**ثم ذكر صفات المؤمنين:**

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: 15].

وذكر في أوائل سورة ق من كفر وكذب بالحق فقال: ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ2أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ3قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ4بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾ [ق: 2 - 5].

فاستعرض المكلفين جميعًا المسلم، ومن أسلم ولم يدخل الإيمان قلبه، والكافر.

2 ـ قال تعالى في أواخر سورة الحجرات: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحجرات: 18].

وقال في أوائل سورة ق: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ [ق: 4]،

وكلتا الآيتين في بالغ علم الله سبحانه.

جاء في البحر المحيط:ومناسبة سورة ق لآخر سورة الحجرات - أنه تعالى أخبر في أواخر سورة الحجرات عن مدعي الإيمان بقوله عز وجل: ﴿ قالت الأعراب آمنا ﴾، ولم يكن إيمانهم حقًّا، وانتفاء إيمانهم دليل على إنكار نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال في أوائل سورة ق: ﴿ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾، وعدم الإيمان يدل على إنكار البعث أيضًا، فلذلك أعقبه به، البحر المحيط، 8/120، بتصرف يسير.

**مقاصد سورة الحجرات**:

ذكر الفيروزآبادي أن "معظم مقصود السورة: محافظة أمر الحق تعالى، ومراعاة حرمة الأكابر، والتؤدة في الأمور، واجتناب التهور، وإغاثة المظلوم، والاحتراز عن السخرية بالخلق، والحذر عن التجسس والغيبة، وترك الفخر بالأحساب والأنساب، والتحاشي عن المنة على الله بالطاعة، وإحالة علم الغيب إلى الله تعالى".

ورأى ابن عاشور أن السورة تضمنت المقاصد التالية:

أولًا: تعليم المسلمين بعض ما يجب عليهم من الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم في معاملته وخطابه وندائه، دعا إلى تعليمهم إياها ما ارتكبه وفد بني تميم من جفاء الأعراب، لما نادوا الرسول صلى الله عليه وسلم من بيوته.

ثانيًا: وجوب صدق المسلمين فيما يخبرون به.

ثالثًا: التثبت في نقل الخبر مطلقًا، وأن ذلك من خلق المؤمنين، ومجانبة أخلاق الكافرين والفاسقين والمنافقين.

رابعًا: الحث على الإصلاح بين المسلمين؛ لأنهم إخوة.

خامسًا: الحث على حسن المعاملة بين المسلمين في أحوالهم الظاهرة والباطنة.

سادسًا: التحذير من بقايا خلق الكفر في بعض جفاة الأعراب.

وقد قال الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ﴾، قال: هذه السورة فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إما مع الله، أو مع رسوله صلى الله عليه وسلم، أو مع غيرهما من أبناء الجنس، وهم على صنفين: إما أن يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة، أو خارجين عنها، وهم أهل الفسق، والداخل في طائفتهم: إما أن يكون حاضرًا عندهم، أو غائبًا عنهم، فهذه خمسة أقسام، قال: فذكر الله في هذه السورة خمس مرات: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾، وأرشد بعد كل مرة إلى مكرمة من قسم من الأقسام الخمسة.

وذكر سيد قطب رحمه الله أن هذه السورة مع أن آياتها لا تتجاوز الثماني عشرة آية، إلا أنها تضمنت حقائق كبيرة من حقائق العقيدة والشريعة، ومن حقائق الوجود والإنسانية، حقائق تفتح للقلب وللعقل آفاقًا عالية، وآمادًا بعيدة، وتثير في النفس والذهن خواطر عميقة، ومعاني كبيرة، وتشمل من مناهج التكوين والتنظيم، وقواعد التربية والتهذيب، ومبادئ التشريع والتوجيه، ما يتجاوز حجمها وعدد آياتها مئات المرات!

وأول ما يبرز للنظر عند مطالعة السورة، هو أنها تكاد تستقل بوضع معالم كاملة، لعالم رفيع كريم نظيف سليم، متضمنة القواعد والأصول والمبادئ والمناهج، التي يقوم عليها هذا العالم، والتي تكفل قيامه أولًا، وصيانته أخيرًا. عالم يصدر عن الله، ويتجه إلى الله، ويليق أن ينتسب إلى الله. عالم نقي القلب، نظيف المشاعر، عف اللسان، وقبل ذلك عف السريرة. عالم له أدب مع الله، وأدب مع رسوله، وأدب مع نفسه، وأدب مع غيره، أدب في هواجس ضميره، وفي حركات جوارحه، وفي الوقت ذاته له شرائعه المنظمة لأوضاعه، وله نظمه التي تكفل صيانته، وهي شرائع ونظم تقوم على ذلك الأدب، وتنبثق منه، وتتسق معه، فيتوافى باطن هذا العالم وظاهره، وتتلاقى شرائعه ومشاعره، وتتوازن دوافعه وزواجره، وتتناسق أحاسيسه وخطاه، وهو يتجه ويتحرك إلى الله. ومن ثم لا يوكل قيام هذا العالم الرفيع الكريم النظيف السليم وصيانته، لمجرد أدب الضمير ونظافة الشعور، ولا يوكل كذلك لمجرد التشريع والتنظيم، بل يلتقي هذا بذاك في انسجام وتناسق، كذلك لا يوكل لشعور الفرد وجهده، كما لا يترك لنظم الدولة وإجراءاتها، بل يلتقي فيه الأفراد بالدولة، والدولة بالأفراد، وتتلاقى واجباتهما ونشاطهما في تعاون واتساق.

هو عالم له أدب مع الله، ومع رسول الله، يتمثل هذا الأدب في إدراك حدود العبد أمام الرب، والرسول الذي يبلغ عن الرب.

انتهى كلام سيد.

وعلى الجملة، فإن السورة ابتدأت بالأدب الرفيع الذي أدَّب الله به المؤمنين، تجاه شريعة الله وأمر رسوله، وهو ألا يبرموا أمرًا، أو يبدوا رأيًا، أو يقضوا حكمًا في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى يستشيروه، ويستمسكوا بإرشاداته الحكيمة.

ثم انتقلت إلى أدب آخر، وهو خفض الصوت إذا تحدثوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم؛ تعظيمًا لقدره الشريف، واحترامًا لمقامه السامي الرفيع، فإنه ليس كعامة الناس، بل هو رسول الله، ومن واجب المؤمنين أن يتأدبوا معه في الخطاب مع التوقير والتعظيم والتبجيل.

ثم انتقلت السورة إلى تقرير دعائم المجتمع الفاضل، فأمرت المؤمنين بعدم السماع للإشاعات، وأمرت بالتثبت من الأنباء والأخبار، ولا سيما إن كان الخبر صادرًا عن شخص غير عدل، أو شخص متهم، فكم من كلمة نقلها فاجر فاسق، سببت كارثة من الكوارث، وكم من خبر لم يتثبت منه سامعه، جر وبالًا عظيمًا، وأحدث انقسامًا كبيرًا.

وبيَّنت السورة أن المجتمع المسلم ينبغي أن يكون مجتمعًا نظيفَ المشاعر، مكفول الحرمات مصون الغيبة والحضرة، لا يؤخذ أحد بظنِّه، ولا يعاقب لمجرد تُهمة، ولا تتبع فيه العورات، ولا يتعرض أمن الناس وكرامتهم فيه لأدنى مساس، فحذرت من السخرية، ونفرت من الغيبة، ونهت عن التجسس، وإساءة الظن بالمؤمنين، ودعت إلى مكارم الأخلاق.

ودعت السورة إلى الإصلاح بين المتخاصمين، ودفع عدوان الباغين.

وحذرت السورة من السخرية والهمز واللمز، ونفرت من الغيبة والتجسس، والظن السيئ بالمؤمنين، ودعت إلى مكارم الأخلاق، والفضائل الاجتماعية، وحذرت من الغيبة بتعبير رائع عجيب، أبدعه القرآن غاية الإبداع، فجاء على صورة رجل يجلس إلى جنب أخ له ميت، ينهش منه، ويأكل لحمه!

بينت السورة أن الله تعالى خلق عباده من ذكر وأنثى، وجعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا، لا ليتفاخروا بالأحساب والأنساب، فإن أكرمهم عند الله أتقاهم.

وختمت السورة بالحديث عن الأعراب الذين ظنوا الايمان كلمة تقال باللسان، وجاؤوا يمنون على الرسول إيمانهم، وقد وضحت حقيقة الإيمان، وحقيقة الإسلام، وشروط المؤمن الكامل، وهو الذي جمع الإيمان، والإخلاص والجهاد، والعمل الصالح.

**التفسير الموضوعي للسورة:**

**قال محمد الغزالي: سورة الحجرات:**

من حق الكبار أن يوقروا، وأن توفر لهم شارات الاحترام، كما أنه من حق الصغار أن يرحموا وأن تحف بهم أسباب العطف، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من أركان المجتمع المسلم: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقَّه»، والرجل في سلطانه لا يفتات عليه، ولا يجوز أن يجيء أحد، فيحاول في حضرته إثبات نفسه بالأمر والنهي، والتقديم والتأخير والاقتراح والاعتراض، وفي سورة الحجرات جملة من الآداب التي تزين الأمة وتصون كيانها، أولها أدب المسلمين مع رسولهم، ثم آداب المسلمين بعضهم مع بعض، ثم علاقة الأمة كلها بسائر الأمم، في أدب المسلمين مع رسولهم؛ يقول جل شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: 1، 2].

وسبق في سورة النور: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور: 63]، وللرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب خاص في ندائه وفي محادثته، يتسم بالتواضع وخفض الصوت والتزام الأدب، إنه مبلغ عن الله ومترجم عن هداه؟ فتوقيره دين، وحسبه من المتاعب ما يلقى من الكفار والمنافقين، والذين يلتزمون الأدب مع رسول الله لهم عند الله مكانتهم وأجرهم، أما الجفاة وفاقدو الخلق فلهم شأن آخر، ومن صدق الإيمان التثبت عند سماع الأخبار، فرب شائعة لا أصل لها أحدثت فتنة بالغة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: 6]، والمعروف أن الشيطان يرقب أبناء آدم ويستمع إلى حديثهم يحاول أن ينزغ بينهم، فإذا وجد خطأً صغيرًا حاول تنميته؛ ليكون خطيئة ضخمة، وليجعل من الشرر التافه نارًا مستعرة، وأكثر القتال الذي يدور بين الناس يتولد من هذا البلاء.

وعلى جماعة المسلمين أن تسارع إلى تدارك الموقف وإصلاح ذات البين، فإذا اعتز أحد بالإثم وحاول البغي تظاهر عليه الجميع ووقفوه عند حده، وقد رأيت معارك نزفت فيها دماء غزيرة، وأعقبها خسار واسع؛ لأن المسلمين ضعفوا عن قول الحق للمعتدي، وعجزوا عن رد بغيه، فكانت النتيجة أن هانت الأمة كلها وطمع فيها أعداؤها: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: 9].

إن ضعف رباط الأخوة الإسلامية نذير شرٍّ، وهو ذريعة إلى تدخل غير المسلمين؛ كي يستغلوا الأوضاع المائلة لمصالحهم الخاصة، والإسلام هو الخاسر أولًا وآخرًا، وسورة الحجرات تلفت أنظارنا إلى أخلاق رديئة يجب البعد عنها، فمن الرعونة ومن التطاول الباطل أن تسخر من الآخرين حاسبًا نفسك أفضل منهم، إنه لا يعرف حقيقة الفضل إلا الله تعالى، ومكانة أي إنسان تقررها معادلات دقيقة بين وراثته وبيئته، أو بين طباعه الخاصة والتيارات التي تحيط به وتهب عليه، ومن يدري؟ فقد تسخر من امرئ نجح حيث رسبت أنت! فتقدم وتأخرت، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴾ [الحجرات: 11]، ورفض الإسلام اللمز والتعيير والتجسس، وظن السوء والغيبة والنميمة، والمؤسف أن أغلب مجالس الناس لا تخلو من هذه الآفات، ولو كف الناس عنها لقضوا نصف أعمارهم صامتين، لو غربل الناس كيما يعدموا سقطًا لما تحصل شيء في الغرابيل، وعلينا نحن المسلمين أن نعرف رسالتنا بين الناس، إننا لم نخلق لننظر إليهم من أعلى، إننا أصحاب رسالة كلفنا بشرحها بالأدب والحكمة والرحمة والحب، وأخشى أن يكون فشلنا في صبغ العالم بها يرجع إلى سوء عرضنا وفشل أسلوبنا، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: 13]، وقد ختمت السورة بشرح حالة الأعراب الذين دخلوا في الإسلام دون أن يتقيدوا بآدابه، أو يلتزموا بأحكامه، إنهم نموذج لأقوام ورثوا الإسلام عنوانًا، ولم يحملوه موضوعًا، فكانت قلوبهم خالية من اليقين، وكانت أعمالهم بعيدة عن الصلاح.

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: 14]، وقد نبَّه الله هؤلاء إلى أن عملهم هو الذي يحكم لهم أو عليهم.

﴿ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ﴾ [الحجرات: 14]، فإذا خذلوا الإسلام حين يتطلب النصرة أو تركوا شمائله حين يتطلب الأدب أو ضعف يقينهم حين تعرض الأزمات، فليسوا بمسلمين، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: 15]، وفي هذا العصر نجد من عامة المسلمين وخاصتهم من يشبهون أعراب الأمس البعيد، فهم ينتمون إلى الإسلام ولا يلبون له نداءً أو يؤازرونه في محنة؛ اهـ.

وللتعرف على سبب نزول سورة الحجرات يمكنك الاطلاع على هذا المقال: سبب نزول سورة الحجرات فضل سورة الحجرات في التأثير إيجابًا على حياة المسلم ما هي الأخلاق التي تحث عليها سورة الحجرات؟ فيما يلي بعض الفضائل التي يستمدها المسلم من سورة الحجرات: ترك ظن السوء، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: 12]، ويجدر هنا ذكر أن الله عز وجل أمر بترك كثير من الظن، ولم يأمر بترك الظن كله، وهذا لأن بعض الظن لا يكون مذمومًا كظن السوء بأهل السوء.

ترك التجسس، وفي ذلك قال الله عز وجل: ﴿ ولا تجسَّسوا ﴾، والتجسس يعني التطلع إلى الأخبار المستترة.

ترك الغيبة، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضًا أيُحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه ﴾؛ إذ يحث الله تعالى على ترك الغيبة، ويذكر أن الغيبة كأكل لحم الإنسان المغتاب وهذا يدل على قبح الغيبة وسوئها.

ترك الاعتزاز بغير التقوى؛ حيث قال تعالى:إن أكرمكم عند الله أتقاكم}، فجعل معيار التفاضل الوحيد بين البشر هو التقوى، وليس للحسب أو النسب أو لكثرة المال دور في رفع المنزلة عند الله جل وعلا؛ تفسير الكتاني.

آداب من سورة الحجرات للتعامل مع الله ورسوله، بيَّنت الآيات الأولى من سورة الحجرات آداب التعامل مع الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك تأديبًا وتأصيلًا للمؤمنين، وفيما يلي نبين تفصيل هذه الآداب والضوابط:

تحريم التعدي على الله سبحانه ورسوله عليه السلام، وذلك في مطلع السورة في قوله تبارك وتعالى:﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ﴾، وينبه الله سبحانه في الآيات المسلمين على ألا يتعدوا على الرسول عليه السلام، ولا يقضوا في شرع ما ويتسرعوا في بيانها حتى يقضي الله بها على لسان رسوله؛ لأن في ذلك جرأة على الله سبحانه، ومخالفة لكتابه وسنة نبيه، كما تبين ضرورة احترام وتوقير النبي عليه السلام في حضرته، وعدم تقديم وإبداء رأي على رأيه.

تحريم رفع الصوت والجهر بالقول بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فوق صوته وغض الصوت في حضرته، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون \* إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾، فقد نهى الله سبحانه المؤمنين رفع صوتهم فوق صوت النبي عليه السلام وأمرهم أن يغضوا من أصواتهم، وأن يخاطبوه بلطف ولين ووعدم الجهر بالقول، تعظيمًا وتكريمًا لمكانة النبي عليه السلام وبيان حقِّه على الأمة، وقد جعل الله سبحانه هذا الأمر امتحانًا لتقوى القلوب، وقَبول أعمال العباد، ومَن خالف أمره حبِط عمله.

النهي عن إزعاجه صلى الله عليه وسلم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون \* ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرًا لهم والله غفور رحيم ﴾، فقد نهى الله سبحانه المؤمنون أن ينادوا النبي عليه السلام باسمه مجردًا، ورفع صوتهم ومناداتها من وراء الحجرات، وقد وصفهم الله سبحانه بأنهم لا يعقلون، فكان عليهم أن يصبروا حتى يخرج عليهم، وأن يضبطوا تحاورهم معه، وفقًا للأحكام والآداب، وهذا خير لهم.

آداب وأخلاق التعامل مع المسلمين في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء م ن نساء عسى أن يكن خيرًا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون \* يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضًا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾، بين الله سبحانه بما يمكن أن يقع به الناس من قبائح التصرفات والصفات، وبين الآداب والأخلاق التي يجب أن يتعامل بها المسلمون مع بعضهم البعض.

النهي عن السخرية والاستهزاء، إذ نهت الآيات الكريمة عن تحقير الأخ المسلم أو السخرية منه، وأن هذا الخلق الذميم لا يصدر إلا من هو متصف بمساوئ الصفات، وأن هذا الخلق الذميم يعكر صفو المجتمع ومبادئه، وينشر الحقد والغل في النفوس، وقد اشتملت الآية على أن مَن يتمُّ الاستهزاء به على أمر دنيوي قد يكون خيرًا في الأمور الشرعية والأخروية، وقد لفتت الآيات إلى الرابطة الإيمانية بين المسلمين والمساواة في الحقوق والأفضلية.

النهي عن اللمز وعن التنابز بالألقاب، إذ حرمت الآيات أن يعيب المسلم أخاه المسلم، وأن يلمزه بالقول والفعل، ويعيِّره بالألقاب المذمومة، وقد نفرت الآيات من هاتين الصفتين المذمومتين، وأن من يتصف بهما وصف بالفسوق، ومن تفضل الله عليه ووصفه بالإيمان، يجب أن يعدل ويبعد عن الفسوق.

النهي عن الظن السيئ بالمؤمنين، إذ أمرت الآيات الكريمة المؤمنين بحسن الظن ببعضهم البعض، وعدم اتهام بعضهم، ومعرفة أن كثرة الظنون والتهم تصل دائمًا إلى نتائج لا تحمد عقباها، فيجب على المؤمن اجتناب الظن واحترام حرمة المسلم.

النهي عن التجسس، وقد قـال الحـافظ ابن كثير في ذلك: "التجسس غالبًا يطلق على الشر، ومنه الجاسوس، وأما التحسس فيكون غالبًا في الخير، وقد يستعمل كل منهما في الشر"، وأن المسلم لا يتجسس على أخيه إلا عندما يسوء الظن به ويتهمه، لذلك جاء ترتيب الآيات بالحديث عن سوء الظن أولًا ثم عن التجسس.

النهي عن الغيبة، إذ نهت الآيات الكريمة عن الغيبة، وقد بينت أنها رذيلة وصفة قبيحة، وفيها هتك لحرمة المسلم، وقد نفرت الآيات من هذه الرذيلة وشبهت المسلم الذي يغتاب أخيه كأنه يأكل لحم أخيه الميت، وذلك لشدة قبحها، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته.

وقفات في التعامل مع الفسقة وقد اشتملت آيات سورة الحجرات بضوابط وأخلاق يجب أن تتحلى بها القيادة الإسلامية، وهي: التثبت والتبين من صحة الخبر قبل تصديقه ونشره، وخاصةً إذا كانت هذه الأخبار مما يترتب عليها قرارات مهمة ونتائج خطيرة، ولتجنب إصابة قوم بجهالة والندم على ذلك.

الإصلاح بين المؤمنين، وتجنب الشحناء والخصومات؛ حفاظًا على الرابطة الإيمانية، فإصلاح ذات البين من أهم أساسات المجتمع الإسلامي.

قتال الفئة التي تبغي وتصر على الباطل، وذلك لحماية أمن وسلامة المجتمع من الفتنة والانهيار. منهج السورة في بيان ضوابط المجتمع الإسلامي من مبادئ وتوجيهات تربوية وأخلاقية:

**الترغيب والترهيب:**

اتبعت الآيات أسلوب الترغيب والترهيب لدفع الشر عن النفس البشرية وجلب الخير والنفع لها، توافقًا مع الفطرة التي جُبلت عليها.

التذكير بنعم الله سبحانه وفضله على العالمين، وأن من تمام النعمة الهداية ومن كمال الإيمان الالتزام بالهدى، واتباع منهج الله سبحانه.

التحذير من عدم الالتزام بالآداب في الآيات، واتباع منهج الله سبحانه، وبيان عاقبة الأمر. تنمية ودعم الوازع النفسي لاتباع منهج الله سبحانه، وذلك من خلال استشعار رقابة الله سبحانه.

المساواة بين البشر، وعدم التفاضل بينهم، وأساس التفاضل عند الله سبحانه التقوى.

المراجع: محمد بن عبدالله العبدلي؛ 17 /8 /2014، "آداب إسلامية من سورة الحجرات"، الألوكة الشرعية، اطلع عليه بتاريخ 18 /3 /2021. بتصرف. أ ب ت ث د وسيم الفتح، آداب وضوابط المجتمع الإسلامي من خلال سورة الحجرات، صفحة 4-22. بتصرف. ↑ سورة سورة الحجرات، آية: 1 ↑ سورة الحجرات، آية:2-3 ↑ سورة الحجرات، آية:4-5 ↑ سورة الحجرات، آية: 11-12 ↑ رواه الألباني، في صحيح أبي داود، عن أبو هريرة، الصفحة أو الرقم: 4874، صحيح. ↑ "سورة الحجرات - تفسير السعدي،" طريق الإسلام، اطلع عليه بتاريخ 18 /3 /2021. بتصرف.

**أسباب النزول في السورة:**

**في سورة الحجرات عدة آيات نزلت لأسباب مختلفة، وإليك بيانها:**

1- فأما أول السورة الكريمة، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ \* إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ \* وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات:1- 5].

فنزل في قصة أبي بكر وعمر، فعن ابن أبي مليكة، قال: "كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر - قال نافع لا أحفظ اسمه - فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم ﴾.

قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر؛ رواه البخاري:4845.

2- قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات: 4].

عن البراء بن عازب، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات: 4]، قال: قام رجل فقال: يا رسول الله، إن حمدي زين وإن ذمي شين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ذاك الله عز وجل، رواه الترمذي: 5/ 387، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وفي مسند الروياني307، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾، فصرح بأنها سبب النزول، وينظر: "موسوعة: التفسير بالمأثور20/376-381.

3- قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ \* وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ \* فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحجرات: 6 - 8].

روى الإمام أحمد في مسنده 18459عن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي، قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه، وأقررت به، فدعاني إلى الزكاة، فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله، أرجع إلى قومي، فأدعوهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، فيرسل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولًا لإبان كذا وكذا، ليأتيك ما جمعت من الزكاة.

فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه، احتبس عليه الرسول، فلم يأته، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عز وجل ورسوله! فدعا بسروات قومه، فقال لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لي وقتًا يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت، فانطلقوا، فنأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق، فرق فرجع، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا رسول الله، إن الحارث منعني الزكاة، وأراد قتلي!

فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه، إذ استقبل البعث، وفصل من المدينة، لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلم أغشيهم، قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة، وأردت قتله، قال: لا، والذي بعث محمدًا بالحق، ما رأيته بتةً، ولا أتاني.

فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "منعت الزكاة، وأردت قتل رسولي؟"، قال: لا، والذي بعثك بالحق ما رأيته، ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس عليَّ رسولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، خشيت أن تكون كانت سخطةً من الله عز وجل، ورسوله.

قال: فنزلت الحجرات: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: 6] إلى قوله: ﴿ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحجرات: 8].

والحديث المذكور وإن كان في إسناده مقال، إلا أنه مشهور سائر بين أهل العلم؛ قال محققو المسند 30/405: "حسن بشواهده، دون قصة إسلام الحارث".

4- قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: 9].

عن أنس رضي الله عنه، قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: لو أتيت عبدالله بن أبي، فانطلق إليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارًا، فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحًا منك، فغضب لعبدالله رجل من قومه، فشتمه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها أنزلت: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: 9]، رواه البخاري:3/ 183.

5- قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات: 11].

عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: فينا نزلت في بني سلمة ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾، قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعا أحدًا منهم باسم من تلك الأسماء، قالوا: يا رسول الله، إنه يغضب من هذا، قال: فنزلت:ولا تنابزوا بالألقاب؛رواه أحمد:18288، وأبو داود:4962، وصححه الألباني.

6- قول الله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَان ﴾ [الحجرات: 17].

عن ابن عباس قال: قدم وفد بني أسد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتكلموا، فقالوا: قاتلتك مضر، ولسنا بأقلهم عددًا، ولا أكلهم شوكة، وصلنا رحمك، فقال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: تكلموا هكذا، قالوا: لا، قال: إن فقه هؤلاء قليل، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم، قال عطاء في حديثه، فأنزل الله جل وعز ﴿ يمنون عليك أن أسلموا ﴾؛ رواه النسائي في الكبرى:11455.

معنى لا تقدموا: قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ [الحجرات: 1].

قال المفسرون: أي: يا أيها الذين آمنوا لا تعجلوا بقضاء أمر في دينكم أو شؤونكم العامة كالحرب قبل أن يأذن الله لكم فيه ورسوله، فتخالفوا كتاب الله وسنة رسوله باعتقاد أو فعل أو قول؛ ينظر: تفسير ابن جرير، 21/ 335، وتفسير الزمخشري، 4/ 349، 350، وتفسير ابن كثير، 7/ 364، وتفسير السعدي، ص 799، وتفسير ابن عثيمين - سورة الحجرات، ص 7 - 9.

كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: 65]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: 51]، وقال عز وجل: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: 7].

**أحاديث وآثار في معنى الآية:**

1- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:من رغِب عن سنتي فليس مني؛ رواه البخاري، 5063، ومسلم 1401.

2- عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالِمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسألوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا؛ رواه البخاري، 100، ومسلم 2673.

3- عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾، قال: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة؛ رواه ابن جرير في تفسيره، 21/ 335.

4- عن مجاهد قال: لا تفتئِتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله على لسانه؛ رواه ابن جرير في تفسيره 21/ 336.

5 عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال: لا تقطعوا الأمر دون الله ورسوله؛ رواه ابن جرير في تفسيره 21/ 337.

من أقول المفسرين والعلماء:

قال ابن كثير هذه آيات أدَّب الله تعالى بها عباده المؤمنين، فيما يعاملون به الرسول صلى الله عليه وسلم من التوقير والاحترام، والتبجيل والإعظام، فقال تبارك وتعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾؛ أي لا تسرعوا في الأشياء بين يديه أي قبله، بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور، قال ابن عباس: نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه، وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن المراد من الآية الكريمة: ﴿ لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾، لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة، والقول الآخر هو رواية العوفي عنه وهو الأقوى والأرجح، وقال مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضي الله تعالى على لسانه، وقال الضحاك: لا تقضوا أمرًا دون الله ورسوله من شرائع دينكم، وقال الحسن البصري: لا تدعوا قبل الإمام، وقال قتادة: ذكر لنا أن ناسًا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا وكذا، لو صح كذا، فكره الله تعالى ذلك.

1- قال القرطبي: أي: لا تقدموا قولًا ولا فعلًا بين يدي الله وقول رسوله وفعله، فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا، ومن قدم قوله أو فعله على الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد قدمه على الله تعالى؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يأمر عن أمر الله عز وجل؛ تفسير القرطبي، 16/ 300.

2- قال ابن القيم: أي: لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا حتى يفتي، ولا تقطعوا أمرًا حتى يكون هو الذي يحكم فيه ويمضيه، والقول الجامع في معنى الآية: لا تعجلوا بقول ولا فعل قبل أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يفعل؛ إعلام الموقعين، 1/ 41.

3 قال ابن القيم: من الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم: ألا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي، ولا إذن ولا تصرف.

حتى يأمر هو، وينهى ويأذن؛ كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾، وهذا باق إلى يوم القيامة ولم ينسخ، فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته، ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم؛ مدارج السالكين، 2/ 367.

4- قال الشنقيطي: المعنى لا تتقدموا أمام الله ورسوله، فتقولوا في شيء بغير علم ولا إذن من الله، وهذه الآية الكريمة فيها التصريح بالنهي عن التقديم بين يدي الله ورسوله، ويدخل في ذلك دخولًا أوليًّا تشريع ما لم يأذن به الله، وتحريم ما لم يحرمه، وتحليل ما لم يحلله؛ لأنه لا حرام إلا ما حرمه الله، ولا حلال إلا ما أحله الله، ولا دين إلا ما شرعه الله؛ أضواء البيان للشنقيطي 7/ 401.

5- قال ابن عاشور: المقصود من الآية النهي عن إبرام شيء دون إذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر قبله اسم الله للتنبيه على أن مراد الله إنما يعرف من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد حصل من قوله: ﴿لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾، معنى: اتبعوا الله ورسوله. وهذه الآية تؤيد قول الفقهاء: إن المكلف لا يقدم على فعل حتى يعلم حكم الله فيه؛ تفسير ابن عاشور، 26/ 216.

6- قال ابن عثيمين: من التقدم بين يدي الله ورسوله البدع بجميع أنواعها. والبدعة أنواع كثيرة: بدع في العقيدة، وبدع في الأقوال، وبدع في الأفعال؛ تفسير ابن عثيمين - سورة الحجرات، ص: 8، 9.

**مسألة مهمة:**

يجب على كل مسلم أن يطلب العلم الشرعي، ويعمل به بقدر استطاعته، حتى لا يخالف الكتاب والسنة في اعتقاده أو قوله أو فعله، وأن يسأل أهل العلم عما أشكل عليه؛ كما قال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: 43].

قال القرافي: حكى الشافعي والغزالي الإجماع في أن المكلف لا يجوز له أن يقدم على فعل حتى يعلم حكم الله فيه، فمن باع وجب عليه أن يتعلم ما عينه الله وشرعه في البيع، ومن آجر وجب عليه أن يتعلم ما شرعه الله في الإجارة، ومن صلى وجب عليه أن يتعلم حكم الله تعالى في تلك الصلاة، وكذلك الطهارة وجميع الأقوال والأعمال، فمن تعلم وعمل بمقتضى ما علم أطاع الله طاعتين، ومن لم يعلم ولم يعمل فقد عصى الله معصيتين، ومن علم ولم يعمل بمقتضى علمه فقد أطاع الله طاعة وعصاه معصية؛ الفروق، 2/ 148، بتصرف يسير، وينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي 1/ 223.

**الآية الثنية من سورة الحجرات:**

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: 2].

فالله سبحانه ينهى الصحابة أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي وينهاهم أن يجهروا له بالقول: كجهر بعضهم لبعض، يأمرهم بالآداب الشرعية أن يتأدبوا عنده ويخفضوا أصواتهم عند صوته، إذا خاطبوه لا يرفعون أصواتهم، بل يخفضونها وهكذا لا يجهرون عنده بالقول في حديثهم، بل يسرون ويخافتون تأدبًا معه عليه الصلاة والسلام.

عن مجاهد في قوله:ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض، قال: لا تنادوه نداءً، ولكن قولًا لينًا يا رسول الله.

عن قتادة قوله:ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض؛ كانوا يجهرون له بالكلام، ويرفعون أصواتهم، فوعظهم الله ونهاهم عن ذلك.

عن قتادة، كانوا يرفعون ويجهرون عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فوعظوا، ونهوا عن ذلك

قال الضحاك في قوله:لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، هو كقوله:﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور: 63]، نهاهم الله أن ينادوه كما ينادي بعضهم بعضًا، وأمرهم أن يشرِّفوه ويعظِّموه، ويدعوه إذا دعوه باسم النبوة.

حدثنا أبو كريب قال: ثنا زيد بن حباب قال: ثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس بن شماس قال: ثني عمي إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن الشماس، عن أبيه، قال: لما نزلت هذه الآية، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول، قال: قعد ثابت في الطريق يبكي، قال: فمر به عاصم بن عدي من بني العجلان، فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ قال: لهذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في، وأنا صيت رفيع الصوت قال: فمضى عاصم بن عدي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: وغلبه البكاء، قال: فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال لها: إذا دخلت بيت فرسي، فشدي على الضبة بمسمار، فضربته بمسمار حتى إذا خرج عطفه وقال: لا أخرج حتى يتوفاني الله، أو يرضى عني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ; قال: وأتى عاصم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره [ص: 279] خبره، فقال: اذهب فادعه لي، فجاء عاصم إلى المكان، فلم يجده، فجاء إلى أهله، فوجده في بيت الفرس، فقال له: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوك، فقال: اكسر الضبة، قال: فخرجا فأتيا نبي الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ما يبكيك يا ثابت؟ فقال: أنا صيت، وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في: ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول ﴾، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أما ترضى أن تعيش حميدًا، وتقتل شهيدًا، وتدخل الجنة؟ فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله، لا أرفع صوتي أبدًا على رسول الله، فأنزل الله: ﴿ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴾ [الحجرات: 3].

حدثنا ابن حميد قال: ثنا يعقوب، عن حفص، عن شمر بن عطية قال: جاء ثابت بن قيس بن الشماس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو محزون، فقال: يا ثابت ما الذي أرى بك؟ فقال: آية قرأتها الليلة، فأخشى أن يكون قد حبط عملي يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وكان في أذنه صمم، فقال: يا نبي الله أخشى أن أكون قد رفعت صوتي، وجهرت لك بالقول، وأن أكون قد حبط عملي، وأنا لا أشعر: فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " امش على الأرض نشيطا فإنك من أهل الجنة. "

حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: ثنا ابن علية قال: ثنا أيوب، عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾؛ قال ثابت بن قيس: فأنا كنت أرفع صوتي فوق صوت النبي - صلى الله عليه وسلم - وأجهر له بالقول، فأنا من أهل النار، فقعد في بيته، فتفقده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسأل عنه، فقال رجل: إنه لجاري، ولئن شئت لأعلمن لك علمه، فقال: نعم، فأتاه فقال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد تفقدك، وسأل عنك، فقال: نزلت هذه الآية: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾، وأنا كنت أرفع صوتي فوق صوت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأجهر له بالقول، فأنا من أهل النار، فرجع إلى رسول الله فأخبره، فقال: بل هو من أهل الجنة; فلما كان يوم اليمامة انهزم الناس، فقال: أف لهؤلاء وما يعبدون، وأف لهؤلاء وما يصنعون، يا معشر الأنصار خلوا لي بشيء لعلي أصلى بحرها ساعة قال: ورجل قائم على ثلمة، فقتل وقتل.

حدثنا ابن عبدالأعلى قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، أن ثابت بن قيس بن شماس قال: لما نزلت:لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيقال: يا نبي الله، لقد خشيت أن أكون قد هلكت، نهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك، وإني امرؤ جهير الصوت، ونهى الله المرء أن يحب أن يحمد بما لم يفعل، فأجدني أحب أن أحمد، ونهى الله عن الخيلاء وأجدني أحب الجمال، قال: فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميدًا، وتقتل شهيدًا، وتدخل الجنة؟ فعاش حميدًا، وقُتل شهيدًا يوم مسيلمة.

حدثني علي بن سهل قال: ثنا مؤمل قال: ثنا نافع بن عمر بن جميل الجمحي قال: ثني ابن أبي مليكة، عن الزبير قال: قدم وفد - أراه قال - تميم، على النبي - صلى الله عليه وسلم - منهم الأقرع بن حابس، فكلم أبو بكر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يستعمله على قومه، قال: فقال عمر: لا تفعل يا رسول الله، قال: فتكلما حتى ارتفعت أصواتهما عند النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك. قال: ونزل القرآن يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي. إلى قوله وأجر عظيم قال: فما حدث عمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك، فيسمع النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: وما ] ص: 281 [ ذكر ابن الزبير جده، يعني أبا بكر.

وقوله:أن تحبط أعمالكم، يقول: ألا تحبط أعمالكم فتذهب باطلة لا ثواب لكم عليها، ولا جزاء برفعكم أصواتكم فوق صوت نبيكم، وجهركم له بالقول كجهر بعضكم لبعض.

وقد اختلف أهل العربية في معنى ذلك، فقال بعض نحويي الكوفة: معناه: لا تحبط أعمالكم. قال: وفيه الجزم والرفع إذا وضعت " لا" مكان " أن" قال: وهي في قراءة عبداللهفتحبط أعمالكم، وهو دليل على جواز الجزم، وقال بعض نحويي البصرة: قال: أن تحبط أعمالكم: أي مخافة أن تحبط أعمالكم وقد يقال: أسند الحائط أن يميل.

وقوله:وأنتم لا تشعرون، يقول: وأنتم لا تعلمون ولا تدرون.

**فوائد وهدايات الآية:**

**الآية الثالثة:**

\* قوله تعالى: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾ الآية قال عطاء عن ابن عباس: لما نزل قوله تعالى - لا ترفعوا أصواتكم - تألى أبو بكر ألا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كأخي السرار، فأنزل الله تعالى في أبي بكر - إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله -

عن أبي بكر قال: لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم - إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى - قال أبو بكر: فآليت على نفسي ألا أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كأخي السرار؛ " أسباب النزول للواحدي".

**الآية السادسة:**

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: 6]، قوله تعالى: ﴿ إن جاءكم ف اسق بنبأ فتبينوا ﴾ قرأ الجمهور:فتبينوامن التبين، وقرأ حمزة والكسائي:فتثبتوامن التثبت، والمعنى واحد؛ لأن التبين معناه في اللغة التثبت والتحقق.

سبب نزول الآية الكريمة: روى الإمام أحمد عن الحارث بن ضرار الخزاعي أنه قال:

قدمت على رسول الله، فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه، وأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله، أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، فيرسل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولًا لإبان كذا وكذا، ليأتيك ما جمعت من الزكاة. فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ زمان الوعد الذي أراد رسول الله أن يبعث إليه، احتبس الرسول فلم يأت، فظن الحارث أن قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله، فدعا سروات قومه، فقال لهم: إن رسول الله كان وقت لي وقتًا يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندنا من الزكاة، وليس من رسول الله الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت، فانطلقوا فنأتي رسول الله، وبعث رسول الله الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق، فرق فرجع، فأتى رسول الله فقال: إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي، فضرب رسول الله البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه حتى استقبله البعث وقد فصل عن المدينة، قالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال: إلى أين؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال: لا والذي بعث محمدًا بالحق ما رأيته، ولا أتاني، فلما دخل الحارث على النبي قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟! قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته، ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، خشيت أن تكون كانت سخطة من الله ورسوله، فنزلت الآية: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا. ﴾ [الحجرات: 6].

**مفهوم التبين والتثبت:**

التبين: علم يحصل بعد التباس وغموض؛ يقال: تبين في الأمر والرأي: أي تثبت وتأنى فيه، ولم يعجل، والتثبت: هو التحري والتأكد من صحة الخبر قبل قبوله أو نشره.

فالمراد بالتبين والتثبت: التأني والتريث والبحث عن صحة الخبر، وعدم العجلة في نقله أو بناء الحكم عليه قبل تيقن صحته.

قال السعدي في تفسيره: وهذا أيضًا، من الآداب التي على أولي الألباب، التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردًا، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال، بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كذب، ولم يعمل به، ففيه دليل، على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب، مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا، ولهذا كان السلف يقبلون روايات كثير من الخوارج، المعروفين بالصدق، ولو كانوا فساقًا.

خرج الإمام أحمد عن أبى ظبيان الجنبي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي بامرأة قد زنت، ف أمر برجمها، فذهبوا بها ليرجموها، فلقيهم علي فقال: ما هذه؟ قالوا: زنت فأمر عمر برجمها. فانتزعها علي من أيديهم وردهم، فرجعوا إلى عمر فقال: ما ردكم؟ قالوا: ردنا علي. قال: ما فعل هذا علي إلا لشيء قد علمه، فأرسل إلى علي فجاء وهو شبه المغضب، فقال:

ما لك رددت هؤلاء؟ قال: أما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «رفع القلم عن ثلاثة؛ عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المبتلى حتى يعقل»؟ قال: بلى. قال علي: فإن هذه مبتلاة بني فلان، فلعله أتاها وهو بها. فقال عمر: لا أدرى. ق ال: وأنا لا أدرى. فلم يرجمها.

ولما دخل رجل على عمر بن عبدالعزيز رحمه الله وذكر له عن رجل شيئا، قال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿ إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ﴾ [الحجرات: 6]، وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿ هماز مشاء بنميم ﴾ [القلم: 11]، وإن شئت عفونا عنك؟ فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدًا.

قال أبو إسحاق القيرواني: قال بعض الحكماء: إياك والعجلة، فإن العرب كانت تكنيها أم الندامة؛ لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يقدر، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم قبل أن يخبر، ولن يصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة، واعتزل السلامة.

قد يدرك المتأني بعض حاجته = وقد يكون مع المستعجل الزلل

وربما فات قوما بعض أمرهم = من التأني وكان الحزم لو عجل

**المستفاد من الآية:**

إن الالتزام بهذا الإرشاد الإلهي يقضي على الأخبار والإشاعات الكاذبة في مهدها، فيلزم على المؤمنين التأني حتى لا يحدث ندم حين لا ينفع الندم.

الفاسق: الفسق في أصله في اللغة هو الانفصال والخروج، فقد جاء في معناها:

فسق كل ذي قشر فسق فسقًا، وفسوقًا: خرج عن قشره، ويقال: فسقت الرطبة عن قشرها أي خرجت وانفصلت، ويسمى الكافر فاسقًا؛ لأنه خرج عن أوامر الله تعالى ولم يلتزم بها.

فلا بد على المسلم ألا يتكلم جزافًا إلا بعد تثبُّت؛ قال قتادة بن دعامة رحمه الله: "قد رأينا والله أقوامًا يسرعون إلى الفتن، وينزعون فيها، وأمسك أقوام عن ذلك هيبةً لله، ومخافة منه، فلما انكشفت، إذا الذين أمسكوا أطيب نفسًا، وأثلج صدورًا، وأخف ظهورًا من الذين أسرعوا إليها، وينزعون فيها، وصارت أعمال أولئك حزازات على قلوبهم كلما ذكروها، وايم الله!

لو أن الناس يعرفون من الفتنة إذا أقبلت كما يعرفون منها إذا أدبرت، لعقل فيها جيل من الناس كثير"؛ قال الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات في غريب القرآن، ٣٨٢: والفسق أعم من الكفر؛ لأنه يقع بالقليل والكثير من الذنوب، ولكن تعورف فيما كان بالكثير، وأكثر ما يقال لمن كان مؤمنًا ثم أخل بجميع الأحكام أو ببعضها، فالفاسق أعم من الكافر، والظالم أعم من الفاسق، وسميت الفأرة فويسقة، لِما اعتقد فيها من الخبث والفسق، وقيل: لخروجها من بيتها مرة بعد أخرى.

فتبينوا \_ فتثبتوا: التبين طلب البيان والتحقق والتثبت، بجهالة؛ أي: جاهلين حالهم، أو تصيبوهم بسبب جهالتكم أمرهم.

نادمين: الندم: الغم على وقوع شيء مع تمني عدم وقوعه، يقال: ندم ندمًا وندامة، وتندم: أسف؛ كذا في لسان العرب.

لعنتم؛ أي: لوقعتم في العنت، قال ابن الأثير: العنت: المشقة والفساد والهلاك، وقوله تعالى: ﴿لو يطيعكم في ك ثير من الأمر لعنتم ﴾؛ أي: لوقعتم في الفساد والهلاك.

هل تقبل شهادة الفاسق أو المبتدع؟

اتفق العلماء على أن شهادة الفاسق لا تقبل؛ عملًا بقوله ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ. ﴾، وكذلك لا تقبل روايته؛ لأن الرواية عن رسول الله أمانة ودين، والفسق يبطلها؛ لاحتمال كذبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال القرطبي: ومن ثبت فسقه، بطل قوله في الأخبار إجماعًا؛ لأن الخبر أمانة والفسق قرينة يبطلها.

واستثنى العلماء من قبول خبر الفاسق أمورًا تتعلق بالمعاملات، وليس فيها شهادة على غيره؛ منها:

‌أ-قبول قوله في الإقرار على نفسه؛ مثل: لفلان عندي مائة درهم، فيقبل قوله كما يقبل في ذلك قول الكافر؛ لأنه إقرار لغيره بحق على نفسه؛ فلا تشترط فيه العدالة.

‌ب- قبول قوله في الهدية والوكالة؛ مثل: إذا قال: إن فلانًا أهدى إليك هذا، يجوز له قبوله وقبضه، ومثل هذا جميع أخبار المعاملات، إذا لم يكن فيها شهادة على غيره.

‌ج- وكذلك في الإذن بالدخول ونحوه، كما إذا استأذن إنسان فقال له: ادخل، لا تشترط فيه العدالة.

واختلف العلماء في أمر الولاية بالنكاح:

فذهب الشافعي وغيره إلى أن الفاسق لا يكون وليًا في النكاح؛ لأنه يسيء التصرف، وقد يضر بمن يلي أمر نكاحها بسبب فسوقه، وقال أبو حنيفة ومالك: تصح ولايته؛ لأنه يلي مالها، فيلي بضعها كالعدل، وإذا ولي المال فالنكاح أولى؛ القرطبي.

وأما المبتدع وهو الفاسق الذي يكون فسقه بسبب الاعتقاد، وهو متأول للنصوص كالجبرية والقدرية، ويقال له: المبتدع بدعة واضحة، فمن الأصوليين من رد شهادته وروايته كالإمام الشافعي رحمه الله، ومنهم من قبلها، وفرق الحنفية قالوا: تقبل منه الشهادة، ولا تقبل منه الرواية؛ لأن من ابتدع بدعة بسبب الدين فلا يبعد أن ينتصر لهواه، ويدعو الناس إلى ذلك، فنرد روايته دون شهادته؛ لأن الدعوة إلى مذهبه داعية إلى النقل، فلا يؤتمن على الرواية، وهذا مذهب جمهور أئمة الفقه والحديث.

فائدة:

هذه الآية نزلت عامة والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والصحابة كلهم عدول فلا تشهد الآية بفسق الوليد يقبل خبر الواحد إذا كان عدلًا، يجب التثبت والتريث في قبول الأخبار، ولا تؤخذ الأمور على ظواهرها.

نتيجة الشائعة فتنة في الدنيا وخزي وندامة وعقاب أليم في الآخرة؛ قال سبحانه: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: 18] وقال عز وجل: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: 36].

بل لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: 19].

**أسماء الله الحسنى بالسورة:**

المعنى اللغوي للاسم: السميع في اللغة على وزن فعيــل من أبنية المبالغة، والسمع في حق المخلوقين هو: ما وقر في الأذن من شيء تسمعه. ورود الاسم في القرآن الكريم: ورد اسمه تعالى السميع في القرآن خمسًا وأربعين مرة؛ مما يدل على أهمية الاسم لا شك منها قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: 127]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [المائدة: 76]، وجمع بين اسمه تعالى السميع والبصير في أكثر من موضع، منها قوله تعالى: ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: 28]، وجمع بينه وبين اسمه تعالى القريب، في قوله: ﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ: 50]، معنى الاسم في حق الله تعالى: قال الخطابي رحمه الله: "السميع: هو الذي يسمع السر والنجوى، سواء ع نده الجهر والخفوت، والنطق والسكوت"، والسماع قد يكون بمعنى القبول والإجابة فمن معاني السميع: المستجيـب لعباده إذا توجهوا إليه بالدعاء وتضرعوا، كقول النبي: «اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع»؛ صحيح الجامع: 1297؛ أي: من دعاء لا يستجاب، وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن السمع يراد به أربعة معان: أحدها: سمع إدراك، ومتعلقه الأصوات، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: 1]، وقوله: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران: 181]، الثاني: سمع فهم وعقل؛ ومتعلقه المعاني، ومنه قوله: ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا ﴾ [البقرة: 104]، ليس المراد سمع مجرد الكلام، بل سمع الفهم والعقل، ومنه: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [البقرة: 285]، الثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سئل، ومنه قولنا: "سمع الله لمن حمده"، أي: اللهم أجب وأعط من حمدك، الرابع: سمع قبول وانقياد، منه قوله تعالى: ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ [المائدة: 41]؛ أي: قابلون له ومنقادون غير منكرين له، ومنه على أصح القولين: ﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ [التوبة:47]؛ أي: فيكم قابلون ومنقادون؛ بدائع الفوائد:2:75،76؛ بتصرف.

**يقول ابن القيم في قصيدته النونية النونية 2:215:**

وهو السميع يرى ويسمع كل ما \*\*\* في الكون من سر ومن إعلان

ولكل صوت منه سمع حاضر \*\*\* فالسر والإعلان مستويان

والسمع منه واسع الأصوات لا \*\*\* يخفى عليه بعيدها والداني

**آثار الإيمان باسمه السميع:**

1- إثبات صفة السمع له سبحانه وتعالى كما وصف الله عز وجل نفسه، فهو سبحانه سميع ذو سمع، ونحن نصف الله تعالى بما وصف به نفسه بلا تحديد أو تكييف، يقول تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير ﴾ [الشورى: 11].

2- إن سمع الله تبارك وتعالى ليس كسمع أحد من خلقه. فسمعه سبحانه وتعالى مستغرق لجميع المسموعات، لا يعزب عن سمعه مسموع وإن دق وخفي، سرًّا كان أو جهرًا؛ عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها وما أسمع ما تقول، فأنزل الله: ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾؛ رواه ابن ماجه، وصححه الألباني.

3- لا يستجيب الله تعالى دعاء اللاهي والمرائي، إنما يستجيب للدعاء الخالص: عن عبد الرحمن بن يزيد قال: "كان الربيع يأتي علقمة يوم الجمعة فإذا لم أكن ثمة، أرسلوا إلي فجاء مرة ولست ثمة، فلقيني علقمة وقال لي: ألم تر ما جاء به الربيع؟ قال: ألم تر أكثر ما يدعو الناس وما أقل إجابتهم، وذلك أن الله عز وجل لا يقبل إلا الناخلة من الدعاء، -الناخلة: الدعاء الخالص الذي لا تشوبه شائبة-، قلت: أو ليس قال ذلك عبد الله -أي: عبد الله بن مسعود؟- قال: وما قال؟ قال: قال عبد الله: لا يسمع الله من مسمع ولا من مراء ولا لاعب، إلا داع دعا بتثبت من قلبه" صحيح الأدب المفرد: 606 حظ المؤمن من اسم الله تعالى السميع: 1- الله سبحانه وتعالى يسمع دبيب قلبك فالحذر الحذر أن يجد قلبك معرضًا عنه سبحانه، مقبلًا على ما لا يرضى! 2- دوام الدعاء لله تبارك وتعالى فهو سبحانه وتعالى سميع الدعاء، فلذ بربك والجأ إليه بكثرة الدعاء، وخذ بأسباب الإجابة حتى يكون دعاءك أحرى للقبول إن شاء الله تعالى ادع ربك وأنت موقن بالإجابة، بقلب يقظ غير غافل، متحريًا ساعات إجابة الدعاء 3- أكثر من الشكوى لربك السميع سبحانه. كما كان نبي الله يعقوب يقول: ﴿ قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ﴾ [يوسف:86]، وكما كان حال إبراهيم عليه السلام: ﴿ إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ [التوبة:114]؛ أي: كثير التأوه، كهيئة المريض المتأوِّه من مرضه، فكان كثير الشكاية والدعاء لربه، حليم بين الناس؛ أي: ذو رحمة بالخلق، وصفح عما يصدر منهم إليه من الزلات، لا يستفزه جهل الجاهلين، ولا يقابل الجاني عليه بجرمه، فاشكُ حالك إلى ربك السميع البصير، الذي يسمع كلامك ويرى مكانك ويعلم سرك ونجواك.4

**- الله تعالى يسمع دعائك في كل حال:**

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: 110]، سواءً جهرت بدعائك أو أسررت به، يسمعك الله تعالى، فادع بصوت أدعى للخشوع والإخلاص، ولا تتكلف.

5- دوام المراقبـة لله سبحانه وتعالى في السر والعلن، فالمؤمن الموحد يراقب ربه في سره وعلانيته؛ لعلمه أن ربه يسمعه من فوق عرشه وأنه عليم بسره ونجواه، والآية التي ترتعد منها الفرائص، قوله تعالى: ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى و رسلنا لديهم يكتبون ﴾

[الزخرف:80]، فإلى أين تذهب يا مسكين؟! أتحسب أنك ستنفذ من سمع الله عز وجل وبصره؟! فالصادق في توحيده لربه السميـع، لن يسمع إلا ما يحب ربه ويرضاه.

6- احفظ سمعك، يستجب الله دعاءك، فكما إن الله سبحانه وتعالى سميع مجيــب للدعاء، ينبغي ألا يسمع العبد سوى ما يحب ربه ويرضى، أما إذا صرف العبد حاسة السمع فيما لا يرضي الله عز وجل؛ كسماع الأغاني والمعازف وسماع المنكرات، أو التجسس على النــاس، ستكون عقوبته من جنس عمله، فلا يستجيب الله تعالى لدعائه، وحاسة السمع من أهم الحواس وأقواها في الإدراك، لذا قدمها الله تعالى في كلامه عن حواس البشر، قال تعالى: ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولًا ﴾ [الإسراء:36]، فينبغي أن يستغلها العبد في سماع دروس العلم؛ حتى تكون المعلومات أسهل في الاستحضار بعد ذلك، ويحفظ العبد سمعه بالتزامه منهج الله تعالى

7- من أراد الشهرة وذياع الصيــت، سمع الله به، أي فضحه على رؤوس الخلائــق يوم القيــامة عن جندب قال: قال النبي: «من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به»؛ متفق عليه.

كيف ندعو الله سبحانه وتعالى باسمه السميع؟ ورد الدعاء باسم الله تعالى السميع في أكثر من موضع من الكتاب والسنة، منها: دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة:127]، وقوله تعالى عن امرأة عمران: ﴿ إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررًا فتقبل مني إنك أنت الس ميع العليم ﴾ [آل عمران:35]، ودعاء زكريا عليه السلام: ﴿ هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذريةً طيبةً إنك سميع الدعاء ﴾ [آل عمران:38]، وعن أبان بن عثمان قال: "سمعت أبي يقول: قال رسول الله: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات، فيضره شيء»"؛ رواه أبو داوود وصححه الألباني.

وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فق اتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين

قوله تعالى: ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ قرأ الجمهور: اقتتلوا بصيغة الجمع، وقرأ أبي بن كعب وابن مسعود: اقتتلا بالتثنية على فعل مذكرين، وقرأ أبو المتوكل وابن أبي عبلة اقتتلتا بتاء وألف بعد اللام على فعل اثنتين مؤنثتين.

قوله تعالى: ﴿ فأصلحوا بين أخويكم ﴾، قرأ الأكثرون: بين أخويكم بياء التثنية، وقرأ أبي بن كعب وابن جبير: بين إخوتكم بالتاء على الجمع، وقرأ الحسن وابن سيرين: بين إخوانكم بالنون والألف قبلها، ويكون المراد بين الأوس والخزرج.

**من فقه الآية:**

**قتال أهل البغي:**

ذهب جمهور العلماء إلى وجوب قتال أهل ال بغي الخارجين على الإمام أو أحد المسلمين، ولكن بعد دعوتهم إلى الوفاق والصلح والسير بينهم بما يصلح ذات البين، فإن أقاموا على البغي وجب قتالهم؛ عملًا بقوله تعالى: ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الحجرات: 9].

قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين الهرب منه ولزوم المنازل، لما أقيم حد، ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلًا إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبي نسائهم، وسفك دمائهم؛ بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم.

وقال الجصاص في كتابه أحكام القرآن ٣\٤٠١: ولم يختلف أصحاب رسول الله في وجوب قتال الفئة الباغية بالسيف إذا لم يردعها غيره، ألا ترى أنهم كلهم رأوا قتال الخوارج، ولو لم يروا قتال الخوارج وقعدوا عنهم، لقتلوهم وسبوا ذراريهم ونساءهم.

**- هل تكون أموال البغاة غنيمة للمسلمين؟**

اختلف العلماء في حكم أموال البغاة: هل تكون غنيمة للمسلمين، أم ترد إليهم بعد الصلح وانتهاء الحرب؟ قول الجمهور: إن بغيهم يحل قتالهم ولا يحل أموالهم وذراريهم؛ لأنهم ليسوا كفارًا وإنما هم مؤمنون باغون، أو فاسقون خارجون عن الطاعة، والأمر بقتالهم من أجل ردهم إلى صف المسلمين، وهو القول الراجح.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: والمعول في ذلك عندنا أن الصحابة رضي الله عنهم في حروبهم لم يتبعوا مدبرًا، ولا ذففوا على جريح، ولا قتلوا أسيرًا، ولا ضمنوا نفسًا ولا مالًا، وهم القدوة

"تفسير القرطبي ١٦\٤١٤.

قال الشيخ أبو بكر الجزائري في قوله تعالى: ﴿ فأصلحوا بين أخويكم ﴾:

الآية دليل على أن اسم الإيمان لا يزول بالبغي، فأثبت أخوة الإيمان ولم يسقطها بالبغي، وروي أن عليًا رضي الله عنه سئل عن قتال أهل البغي من أهل الجمل وصفين: أمشركون هم؟ قال: لا، من الشرك فروا، فقيل: أمنافقون؟ قال: لا؛ لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا، فقيل له: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا، "أيسر التفاسير " ٢\١٥٠٥.

**المستفاد:**

\_ وجوب الإصلاح بين طوائف المؤمنين عند حصول النزاع.

\_إذا بغت إحدى الطائفتين على الأخرى، ولم يمكن الإصلاح، وجب التدخل بالقوة لوأد الفتنة.

\_المؤمنون إخوة جمعتهم رابطة العقيدة والإيمان، وهذه الرابطة أقو ى من رابطة النسب والدم.

\_يجب على المؤمنين مقاومة أهل البغي؛ إبقاءً لوحدة الأمة الإسلامية، ودفعًا للظلم عن المستضعفين.

**الإيمان:**

**تعريف الإيمان شرعًا:**

الإيمان بمعنى: التصديق، ومعناه: «إقبال القلب وإذعانه لما علم من الضروريات أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم» وهو تصديق محله القلب، فلا يعلم حقيقته إلا الله.

وأركان الإيمان ستة هي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وهذه أساسيات الإيمان، والمعنى الجامع للإيمان هو: «التصديق الجازم بكل ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله، مع التسليم به والقبول والإيقان»، فيشمل أيضا: الإيمان بالغيب كالجنة والنار والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط وغير ذلك.

والفرق بين الإسلام و الإيمان: أن الإسلام قول وعمل ظاهر، والإيمان تصديق غير ظاهر فمحله القلب، ومن نطق بالشهادتين فهو مسلم، ويقال له مؤمن بحسب الظاهر إذ لا يعلم حقيقة إيمانه إلا الله. والإيمان شرط صحة العمل عند الله، فمن عمل عملا صالحا وهو غير مؤمن بالله؛ فلا يقبل الله منه ذلك، أما في الأحكام الدنيوية فيقبل منه الظاهر وحسابه على الله. والإيمان يدفع بصاحبه للعمل الصالح، لكن العمل الصالح ليس شرطا لصحة الإيمان، وبالمقابل فالمعاصي لا تسلب الإيمان بالكلية بل ينقص الإيمان بالذنوب، ويزداد بالطاعات والأعمال الصالحة. **أقوال العلماء في معنى الإيمان:**

الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو: «تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.»، ومن أقوالهم في ذلك:

قال ابن عبد البر: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية. ».

قال الشافعي في ك تاب الأم: «وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر.».

قال محمد بن إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني: «والإيمان في لسان الشرع هو التصديق بالقلب، والعمل بالأركان.»

قال سفيان بن عيينة: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.».

قال أبو الحسن الأشعري: «وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وليس نقصانه عندنا شك فيما أمرنا بالتصديق به، ولا جهل به، لأن ذلك كفر، وإنما هو نقصان في مرتبة العلم وزيادة البيان كما يختلف وزن طاعتنا وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم وإن كنا جميعا مؤديين للواجب علينا»

**الفرق بين الإسلام والإيمان:**

الإيمان والإسلام من الألفاظ التي إذا اجتمعت ألفاظها افترقت معانيها، وإذا افترقت يكون لها معنى واحدًا.

فعند التفصيل بينهما يراد بالإيمان الأعمال الباطنة، وهي أعمال القلوب كالإيمان بالله تعالى، وحبه وخوفه ورجائه وتقواه وخشيته والإخلاص له، أما الإسلام فيراد به الأعمال الظاهرة التي قد يصحبها الإيمان القلبي، وقد لا يصحبها فيكون صاحبها منافقًا أو مسلمًا ضعيف الإيمان.

قال ابن عثيمين: «إذا اقترن أحدهما بالآخر فإن الإسلام يفسر بالاستسلام الظاهر الذي هو قول اللسان، وعمل الجوارح، ويصدر من المؤمن كامل الإيمان، وضعيف الإيمان، قال الله تعالى قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا و لما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئًا إن الله غفور رحيم، ومن المنافق، لكن يسمى مسلمًا ظاهرًا، ولكنه كافر باطنًا. ويفسر الإيمان بالاستسلام الباطن الذي هو إقرار القلب وعمله، ولا يصدر إلا من المؤمن حقا كما قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: 2]، وبهذا المعنى يكون الإيمان أعلى، فكل مؤمن مسلم ولا عكس».

**الفرق بين الاثنين:**

يلاحظ أن أركان الإسلام هي أمور عملية، تقوم بها الجوارح، أما أركان الإيمان فهي أمور قلبية، لتحقيقها على المرء أن يصلح قلبه. وينفي عنه الخبث؛ فتحقيق أركان الإيمان أصعب منها للإسلام، لأن المرء له طاقة على جوارحه.

**أركان الإيمان:**

الإيمان بالله، هو الاعتقاد الجازم بوجود الله ربًا وإلهًا ومعبودًا واحدًا لا شريك له، والإيمان بأسمائه وصفاته التي وردت في القرآن وصحيح السنة النبوية من غير تحريف لمعانيها أو تشبيه لها بصفات خلقه أو تكييف أو تعطيل. نجد أن الإيمان بالله يكون من خلال التدبر في الكون والنفس، وترشد الآيات وتعرف ضرورة الإيمان بالله، وتبرهن برهانًا محكمًا وقاطعًا على وحدة

الخالق سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بر بك أنه على كل شيء شهيد

**الإيمان بالملائكة :**

المقصود من الإيمان بالملائكة هو الاعتقاد الجازم بأن الله خلق الملائكة من نور وهم موجودون، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله القيام بها. قال الله في سورة البقرة ليس البر أن تولوا وجوهكم ق بل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون.

**الإيمان بالكتب السماوية:**

ومعنى هذا الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله، ومن هذه الكتب ما وردت أسماؤها في القرآن، ومنها ما لم يسم، قال الله في سورة الأعلى: إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى.

ونذكر فيما يلي الكتب التي وردت أسماؤها في القرآن: التوراة، الإنجيل، الزبور، صحف إبراهيم، قال الله في سورة البقرة: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: 255]. وفي سورة آل عمران: نزل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدىً للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام فالتوراة أنزل إلى موسى والإنجيل أنزل إلى عيسى والزبور إلى داود والصحف إلى إبراهيم والقرآن أنزل إلى محمد.

**الإيمان بالأنبياء والرسل:**

هو الإيمان بالرسل والأنبياء المذكورين في القرآن، والإيمان بأن الله أرسل رسلًا سواهم، وأنبياء لا يعلم عددهم وأسماءهم.

وقد ذكر الله في القرآن خمسة وعشرين من الأنبياء والرسل وهم: آدم، نوح، إدريس، صالح، إبراهيم، هود، لوط، يونس، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، أيوب، شعيب، موسى، هارون، اليسع، ذو الكفل، داوود، زكريا، سليمان، إلياس، يحيى، عيسى، محمد، فهؤلاء الرسل والأنبياء يجب الإيمان برسالتهم ونبوتهم.

الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان، فلا يصح إيمان العبد إلا بالإيمان بهم. والأدلة تؤكد ذلك، فقد أمر الله بهم، وقرن ذلك بالإيمان به كما ذكر في سورة النساء: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: 171]، وجاء الإيمان بهم في المرتبة الرابعة من التعريف النبوي للإيمان كما في حديث جبريل: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله؛ رواه مسلم.

وقرن الله الكفر بالرسل بالكفر به، كما في سورة النساء: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: 136]، ففي هذه الآيات دليل على ضرورة الإيمان بالرسل، ومنزلته من الدين، وقبل بسط الكلام في ذلك، يجدر بنا ذكر تعريف كل من الرسول والنبي، وتوضيح الفرق بينهما.

الرسول هو الذي أنزل عليه كتاب وشرع مستقل ومعجزة تثبت نبوءته وأمره الله بدعوة قومه لعبادة الله. أما النبي هو الذي لم ينزل عليه كتاب إنما أوحي إليه أن يدعو قومه لشريعة رسول قبله مثل أنبياء بني إسرائيل كانوا يدعون لشريعة موسى وما في التوراة، وعلى ذلك يكون كل رسول نبيًا وليس كل نبي رسولًا. كما يجب على المؤمن الإيمان بهم جميعًا فمن كفر بواحد منهم أصبح كافرًا بالجميع وذلك لأنهم جميعًا يدعون إلى شريعة واحدة وهي عبادة الله.

**الإيمان باليوم الآخر:**

ومعناه الإيمان بكل ما أخبر به الله ورسوله محمد مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، وما أعد الله لأهلهما جميعًا.

الإيمان بالقضاء وبالقدر خيره وشره:

أن خالق الخير والشر هو الله فكل ما في الوجود من خير وشر فهو بتقدير الله، وأن أعمال العباد من خير هي بتقدير الله ومحبته ورضاه، أما أعمال العباد من شر، فهي كذلك بتقدير الله ولكن ليست بمحبته ولا برضاه، والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثباته وتقريره. فمن الكتاب: { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 49].

﴿الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرًا﴾ ]25:2[ أما في السنة فيدل عليه حديث جبريل وسؤاله للنبي عن أركان الإيمان فقال: ﴿ الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾، رواه مسلم.

نداءات المؤمنين:

قد نادى الله عباده المؤمنين في تسعة وثمانين موضعا في القرآن، ظفرت سورة البقرة بـإحدى عشرة موضعا، وسورة المائدة بستة عشر موضعا، لکثرة ما فيهما من أحکام وتشريعات فهذه أول ما نزل والأخرى آخر ما نزل، وبقية تلك النداءات مبثوثة بين السور الکريمة.

**الفوائد البلاغية:**

النداء هو الدعاء برفع الصوت والمنادى هو المطلوب إقباله بحرف مخصوص.

للنداء سبعة أحرف، منها ما هو مختص بنداء البعيد حسًا أو حكمًا، وهو المنزل منزلة البعيد، لنوم أو سهو أو ارتفاع محل أو انخفاضه، ومن ثم استعملت في نداء العبد ربه، ونداء الرب عبده، كقوله تعالى: ربنا لا تؤاخذنا ومنها ما هو مختص بنداء القريب.

وهي: يا، وتستعمل في كل حالات النداء، وآ، وأيا، وهيا للمنادى البعيد، وأي والهمزة للمنادى القريب، ووا للمنادى المندوب، من ذلك قوله تعالى: قيل يا نوح اهبط بسلام منا.

**أكثر حروف النداء استعمالًا:**

يعد حرف النداءياء أكثر حروف النداء استعمالًا فهو أصل حروف النداء وله من الخصائص ما ليس لغيره منها

ــ لا يقدر عند الحذف سواه، ولا ينادى اسم الله عز وجل إلا به، وكذلك اسم المستغاث وأيها وأيتها.

ــ ولم يستعمل القرآن الكريم من أدوات النداء سواه، وقد كثر ورودها معها أي: يضاف إليها، وفسر كثرة النداء به في القرآن بأن مواجهة المخاطب بالأوامر والنواهي مباشرة فيها جفوة وقسوة، لذا كان أسلوب النداء لما في أداة النداء من توكيد ومبالغة، إذ فيها يستثار المنادى ويحرك ويتنبه لما يلقى إليه من أوامر ونواه، فإذا ألقي إليه الكلام كان مستعدًا لتقبله.

**حذف حرف النداء:**

يجوز حذف حرف النداء لغرض بلاغي وهو الإيجاز؛ كقوله تعالى: يوسف أعر ض عن هذا، ونحو: أن أدوا إلي عباد الله؛ أي: أدوا إلي الطاعة يا عباد الله.

ويمتنع حذف أداة النداء مع اسم الله عز وجل إلا إذا عوضت عنه الميم المشددة في آخره نحو: سبحانك اللهم.

**أنواع المنادى:**

للمنادى خمسة أنواع منها ما هو مبني، ومنها ما هو معرب.

**بناء المنادى:**

يبنى المنادى على ما كان يرفع به سواءً أكان تعريفه سابقًا على النداء وهو العلم المفرد، نحو قوله تعالى: ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾، أم حاصلًا بالنداء وهو النكرة المقصودة، كقوله تعالى: ﴿ يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم ﴾؛ لأنه صار بالنداء معرفًا.

فآدم، ونار: منادى مبني على الضم في محل نصب.

**ما يجب نصبه في النداء:**

**يجب نصب المنادى إذا كان واحدًا مما يأتي:**

- النكرة غير المقصودة، ونقصد بها النكرة الشائعة أو غير المحددة، أو التي لا يقصد بها فرد معين كقول الأعمى: يا رجلًا خذ بيدي، فـرجلًا: منادى منصوب لأنه نكرة غير مقصودة.

- المنادى المضاف، كقوله تعالى: ﴿ ربنا اغفر لنا ذنوبنا ﴾؛ أي: يا ربنا، وربنا: منادى منصوب وهو مضاف والضميرنافي محل جر مضاف إليه.

- المنادى الشبيه بالمضاف، وهو ما اتصل به شيء من تمام معناه، فلا يتم معناه إلا بما جاء بعده من فاعل أو مفعول أو جار ومجرور نحو: يا جميلًا وجهه، فـجميلًا: منادى منصوب لأنه شبيه بالمضاف.

**نداء المعرف بـأل:**

يتوصل إلى نداء ما فيه أل عن طريق الإتيان بكلمة أي وأية؛ قال تعالى: يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم، يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين، يا أيتها النفس المطمئنة، فالمنادى الحقيقي هو الإنسان، النبي، النفس.

**المنادى المضاف لياء المتكلم:**

**إذا أضيف المنادى إلى ياء المتكلم فله ثلاثة أوجه:**

- تحريك الياء بالفتح كقوله تعالى: يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون.

- تسكين الياء، مثل: يا أخي لا تمل بوجهك عني.

- حذف الياء وإبقاء الحركة دليلًا عليها مثل قوله تعالى: يا عباد فاتقون.

**الأغراض البلاغية للنداء في القرآن الكريم:**

قد يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال، من ذلك:

1- المدح، مثل نداء الله رسله وأنبياءه والمؤمنين، قال تعالى: يا أيها الرسول ويا أيها النبي، ويا أيها الذين آمنوا.

2- الذم، مثل نداءات العصاة والكفار نحو: يا أيها الذين كفروا وفيها تنبيه على بعدهم وعدم طاعتهم لأوامر الله سبحانه وتعالى.

3- التنبيه، مثل: يا أيها الناس مما فيه تنب يه وحث إلى ما يجب عمله.

4- التهديد، كقوله تعالى على لسان قوم لوط عليه السلام: لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين.

5- تنزيل القريب منزلة البعيد، لغرض التعظيم وعلو الشأن، نحو قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته، أو للحرص على إقبال المنادى حتى كأنه بعيد، قال تعالى: قالوا يا نوح اهبط بسلام منا وبركات.

6- التفجع، نحو: قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين.

7- التحسر، نحو: يا حسرتنا على ما فرطنا فيها، يا ليتني كنت ترابًا.

8- التمني، نحو: يا ليتني مت قبل هذا

9- التأسف، وهو الحزن الشديد، نحو: يا أسفي على يوسف.

10- الدعاء، نحو: رب اجعل هذا بلدًا آمنًا.

11- الالتماس، نحو: يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه.

12- الاستعطاف، نحو: قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي.

13- التعظيم والتبجيل، نحو: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك.

14- التحدي والتعجيز، نحو: يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا.

15- التشنيع، نحو: يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير.

16- التعجب، كقولك لشخص: يا لك من رجل كريم، فأنت لا تريد أن تناديه وإنما تريد التعجب من حاله ومن كرمه. أمثلة من أنواع النداءات القرآنية:

- نداء الإنسان، ونداء الناس:

- نداء الإنسان، فقد جاء في قوله تعالى: يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم، و يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه، وهاتان هما الآيتان اللتان نودي فيهما الخلق بلفظ الإنسان، فهو خطاب مراد به العموم.

- نداء الناس، وقد كثر في القرآن الكريم وذلك لأن التكاليف الشرعية عامة والكل مطالب بها، ولفظ الناس من الألفاظ الجامعة فلذا أريد خطاب الجنس، فنداء الناس لإيقاظ الغفلة والتنبيه.

- نداء الرسول وال نبي:

وفي القرآن وجه النداء للرسل جمعًا وللرسول مفردًا وللنبي، فجاء قوله تعالى: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا، و يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ويا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك.

والخطاب بوصف النبوة أكثر ورودًا في القرآن الكريم، وتخصيص النداء بلفظ النبي قيل إنه يكون في أمر التشريع الخاص، أما النداء بلفظ الرسول فيكون في أمور التشريع العامة.

كذلك هناك نداء الأنبياء أقوامهم، فهو يظهر مدى حنوهم عليهم واستمالتهم لهم وتحبيبهم فيما يدعونهم إليه.

أما نداء العبد ربه ففيه من الخوف والرهبة والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك نجده ينادي ربه بدون حرف نداء حتى لا يكون هناك فاصل أو حاجز يحول بينه وبين ربه، وهو تعبير عن الشعور بقربه من ربه، كقوله تعالى: ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا

أما نداء الجمادات وما لا يعقل ففيه تصوير وتجسيد من جانب، وعظة وعبرة من جانب آخر، قال تعالى: وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء واستوت على الجودي.

حيث نوديت الأرض ثم أمرت يا أرض ابلعي ثم أتبع ذلك نداء السماء وأمرها ويا سماء أقلعي فالنداء بحرف يا دون أي لكونها أكثر استعمالًا وأنها دالة على بعد المنادى، وإظهار العظمة والعزة والجبروت لله تعالى.

من الملاحظ أنه ورد في القرآن الكريم دخول حرف النداء على ما ليس بمنادى كقوله تعالى: قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين، يا حسرةً على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون فقيل إن يا للنداء والمنادى محذوف، وقيل هي لمجرد التنبيه.

وفي ذلك قال ابن مالك إن وليها دعاء أو أمر فهي للنداء، لكثرة وقوع النداء قبل الدعاء والأمر، وإلا فهي للتنبيه. تقوى الله فضلها وثمراتها

تعريف التقوى لغةً واصطلاحً ا

التقوى لغةً: الوقاية، ومصدره: وقاء، بمعنى حفظ الشيء عما يؤذيه، ومنه: قوله تعالى: ﴿ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [الدخان: 56].

ومعنى قولك: اتق الله: أي: اجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، ومنه: قوله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»؛ رواه البخاري1413، ومسلم2347 عن عدي بن حاتم.

ومعنى قولك: اتقى فلان كذا؛ أي: جعله وقاية.

ومنه قول النابغة الذبياني:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه \*\*\* فـتنـاولـته واتقـتنا باليد

وأجدر ما يتقى به من العذاب يوم القيامة، الوجه؛ قال الله تعالى: ﴿ أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم ا لقيامة ﴾ [الزمر: 24].

وفي الاصطلاح: للتقوى أكثر من عشرة تعاريف: منها ما اقتصر فيه على تعريف جانب دون آخر، ومن أحسن التعريفات ما قال طلق بن حبيب: إذا وقعت الفتن، فأطفئوها بالتقوى، قالوا: وما التقوى؟ قال: هي أن تعمل بطاعة الله على نور من الله رجاء رحمة الله، والتقوى ترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله؛ رواه ابن أبي شيبة في "مصنفه" برقم 30993، وهو أثر صحيح، والله أعلم.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

قال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن آل عمران:102

قال: أن يطاع فلا يعصي ويذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر.

وشكره يدخل فيه جميع فعل الطاعات ومعنى ذكره فلا ينسي ذكر العبد بقلبه لأوامر الله في حركاته وسكناته وكلماته فيمتثلها ولنواهيه في ذلك كله فيجتنبها.

وقال طلق بن حبيب رحمه الله: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما يكون حجابا بينه وبين الحرام فإن الله قد بين للعباد الذي يصيرهم إليه فقال: فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره 7ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره فلا! تحقرن شيئا من الخير أن تفعله ولا شيئا من الشر أن تتقيه.

وقال الثوري رحمه الله: إنما سموا متقين لأنهم اتقوا ما لا يتقي.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: المتقون الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدي ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به.

وقال الحسن رحمه الله: المتقون اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما اقترض الله عليهم.

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: ليس تقوى الله بصيام النهار و لا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير إلى خير.

وقال موسى بن أعين رحمه الله: المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام فسماهم الله متقين.

وقال ميمون بن مهران رحمه الله: المتقي أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه.

وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات كما قال أبو هريرة رضي الله عنه وسئل عن التقوى فقال: هل أخذت

طريقا ذا شوك؟قال: نعم، قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عزلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه، قال: ذاك التقوى.

وأخذ أحدهم هذا المعنى فقال:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقي

واصنع كماش فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وأصل التقوى أن يعلم العبد ما يتقي ثم يتقي، قال عون بن عبدالله رحمه الله: تمام التقوى أن تبتغي علم ما لم تعلم منها إلى ما علمت منها.

وذكر معروف الكرخي عن بكر بن خنيس رحمهما الله قال: كيف يكون متقيًا من لا يدري ما يتقي، ثم قال معروف الكرخي: إذا كنت لا تحسن تتقي أكلت الربا وإذا كنت لا تحسن تتقي لقيتك امرأة ولم تغض بصرك وإذا كنت لا تحسن تتقي وضعت سيفك على عاتقك.

قال بن رجب رحمه الله: وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه.

**أهمية التقوى وميزاتها:**

1ـ أن كلمة الإخلاص لا إله إلا الله تسمى كلمة التقوى:

إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليمًا الفتح:26

2ـ أمر الله بها عباده عامة وأمر بها المؤمنين خاصة:

ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون النحل:2

وإن هذه أمتكم أمةً واحدةً وأنا ربكم فاتقون المؤمنون:52

لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون الزمر:16

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون آل عمران:102

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا النساء:1

ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله النساء: من الآية131

**3ـ وصية الأنبياء لقومهم:**

إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون الشعراء:106

إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون الشعراء:124

إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون الشعراء:142

إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون الشعراء: 161

إذ قال لهم شعيب ألا تتقون الشعراء:177

وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون العنك بوت: 16

**4ـ طلب الله من الخلق عبادته لتحقيقها:**

يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون البقرة:21

يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتق ون البقرة:183

و أن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون الأنعام:153

5ـ مكانها القلب أهم عضو في جسم الإنسان والذي به الصلاح والفساد:

عن أبي هرير ة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانًا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله و لا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه؛ رواه البخاري.

**ثمرات التقوى:**

1ـ محبة الله تعالى:

إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئًا ولم يظاهروا عليكم أحدًا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين التوبة:4

كيف يكون للم شركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين التوبة:7

بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين آل عمران:76

2ـ رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة:

واكتب لنا في هذه الدنيا حسنةً وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون لأعراف:156

وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمونالأنعام:155

3ـ سبب لعون الله ونصره وتأييده:

إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون النحل:128

إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافةً كما يقاتلونكم كافةً واعلموا أن الله مع المتقين التوبة:36

4ـ حصن الخائف وأمانه من كل ما يخاف ويحذر، من سوء ومكروه في الدنيا والآخرة:

يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف ع ليهم ولا هم يحزنون؛ الأعراف: 35

وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الزمر:61

5ـ تبعث في القلب النور وتقوي بصيرته فيميز بين ما ينفعه وما يضره:

يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لك م فرقانًا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم لأنفال:29

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورًا تمش ون به ويغفر لكم والله غفور رحيم؛ الحديد: 28

6ـ تعطي العبد قوة لغلبة الشيطان:

إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون لأعراف:201

7ـ وسيلة لنيل الأجر العظيم:

ذ لك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا الط لاق: 5

وإن تؤمنوا وتقوا فلكم أجر عظيمآل عمران: من الآية179

8ـ توسيع الرزق وفتح مزيد من الخيرات:

ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا ف أخذناهم بما كانوا يكسبون

لأعراف:96

ومن يتق الله يجعل له مخرجًا2 ويرزقه من حيث لا يحتسب الطلاق: من الآية3

9ـ تفريج الكرب وتيسير الأمور:

ومن يتق الله يجعل له مخرجًاالطلاق: من الآية2

ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًاالطلاق: من الآية4

فأما من أعطى واتقى5وصد ق بالحسنى6فسنيسره لليسرى الليل:7

10ـ النصر على الأعداء ورد كيدهم والنجاة منن شرهم:

إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضرك م كيدهم شيئ ًا إن الله بما يعملون محيط آل عمران:120

بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين آل عمران:125

ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون فصلت:18

11ـ أن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة:

قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين لأعراف:128

تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للم تقين هود:49

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للم تقين القصص:83

مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار

الرعد: 35

زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يو م القيامة والله ير زق من يشاء بغير حساب

البقرة:212

12ـ المتقون ينتفعون بالموعظة ويؤثر فيهم الذكر ويتفكرون في الآيات ويهتدون بذلك:

ومصدقًا لما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظةً للمتقين المائدة:46

فجعلناها نكالا ً لما بين يديها وما خلفها وموعظةً للمتقين البقرة:66

هذا بيان للناس وهدىً وموعظة للمتقين آل عمران:138

ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلًا من الذين خلوا من قب لكم وموعظةً للمتقين النور:34

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين البقرة:2

ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكرًا للمتقين الانبياء:48

وإنه لتذكرة للمتقين الحاقة: 48

13ـ أنها صفة لأولياء الله وطريق لولاية الله:

وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أو لياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون

الأنفال: 34

إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي ا لمتقين الجاثـية:19

ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون 62الذين آمنوا وكانوا يتقون63 لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم يونس:64

14ـ أنها الميزان الذي يقرب العبد من ربه ويدنيه:

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير

الحجرات:13

15ـ أنها أفضل ما يتزود به العبد في طريقه إلى الله:

الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تف علوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب البقرة:197

عن أنس قال جاء رجل إلى النبي r،فقال: يا رسول الله إني أريد سفرًا فزودني، قال: زودك الله التقوى، قال: زدني، قال: وغفر ذنبك، قال: ز! دني بأبي أنت وأمي، ق ال: ويسر لك الخير حيثما كنت رواه الترمذي. وحسنه الألباني.

16ـ من أسباب قبول العمل:

واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانًا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين المائدة:27

لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم الحج: من الآية37

17ـ أن القرآن بشرى للمتقين:

فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قومًا لدا مريم:97

18ـ كل علاقات الأخلاء تنتهي يوم القيامة إلا علاقات المتقين:

الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين الزخرف:67

19ـ المتقون هم الفائزون:

ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون النور:52

20ـ المتقون تنالهم رحمة الله:

ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنونلأعراف: من الآية156

21ـ أنها صفة للأنبياء ومن صدقهم:

والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون الزمر:33

22ـ سبب لنجاة العبد يوم القيامة:

ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا مريم:72

وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الزمر:61

23ـ سبب لمغفرة الذنوب:

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورًا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم

الحديد: 28

يا أيها ال ذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا 70 يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا الأحزاب:71

24ـ الكرم إنما يكون بالتقوى:

عن سمرة عن النبي rقال: الحسب المال والكرم التقوى. رواه الترمذي وصححه الألباني.

25ـ المتقين يسهل لهم الله العلم:

واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم البقرة: من الآية282

26ـ التقوى ثوابها الجنة:

وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين آل عمران:133

ولنعم دار المتقين30جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين

النحل:31

وأزلفت الجنة للمتقين الشعراء:90

إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم القلم:34

وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ق:31

مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أ نهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشارب ين وأنهار من عسل مصفىً ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في ال نار وسقوا ماءً حميمًا فقطع أمعاءهم محمد:15

وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال له م خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الزمر:73.

**المراجع:**

1ـ جامع العلوم والحكم / للحافظ بن رجب الحنبلي.

2ـ إرشاد العباد /للشيخ عبدالعزيز السلمان.

3 ـ الرائد / للشيخ مازن الفريح.

**علامات التقوى:**

قال عبدالله بن عمر: التقوى ألا ترى نفسك خيرًا من أحد، ذكره البغوي في "تفسيره" 1 /60.

وقال مالك بن أنس: بلغني أن رجلًا من الفقهاء كتب إلى ابن الزبير يقول: ألا إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها، ويعرفونها من أنفسهم: من رضي بالقضاء، وصبر على البلاء، وشكر على النعماء، وصدق في اللسان، ووفى بالوعد والعهد، وتلا أحكام القرآن، وإنما الإمام سوق من الأسواق، فإن كان من أهل الحق حمل إليه أهل الحق حقهم، وإن كان من أهل الباطل حمل إليه أهل الباطل باطلهم، ذكره ابن الأثير في "جامع الأصول" 11/ 703 ـ 704.

وقال الحسن البصري: يا بن آدم عملك عملك، فإنما هو لحمك ودمك، فانظر على أي حال تلقى عملك، إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها: صدق الحديث، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، ورحمة الضعفاء، وقلة الفخر والخيلاء، وبذل المعروف، وقلة المباهاة للناس، وحسن الخلق؛ رواه أبو نعيم في "الحلية" 2 /143.

**مراتب التقوى عند ابن جزي:**

قال ابن جزي في "التسهيل لعلوم التنزيل"1/ 69: درجات التقوى خمس:

الأولى: أن يتقي العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام.

الثانية: أن يتقي المعاصي والحرمات وهو مقام التوبة.

الثالثة: أن يتقي الشبهات، وهو مقام الورع.

الرابعة: أن يتقي المباحات وهو مقام الزهد.

الخامسة: أن يتقي حضور غير الله على قلبه، وهو مقام المشاهدة؛ ا.هـ؛ بتصرف يسير.

**مراتب التقوى عند ابن القيم:**

قال العلامة ابن القيم في "الفوائد" ص65: التقوى ثلاث مراتب:

أحدها: حمية القلب والجو ارح عن الآثام والمحرمات.

والثانية: حميتها عن المكروهات.

والثالثة: الحمية عن الفضول وما لا يغني.

فالأولى: تعطي العبد صيانة.

والثانية: تفيده صحته وقوته.

والثالثة: تكسبه سروره، وفرحه، وبهجته؛ ا.هـ. لا يسخر

**معنى السخرية لغةً:**

يقال: سخر منه وبه سخرًا وسخرًا ومسخرًا وسخرًا بالضم وسخرةً وسخريًا وسخريًّا وسخرية: هزئ به، والاسم السخرية والسخري ويكسر القاموس المحيط للفيروزآبادي ص 405، لسان العرب لابن منظور4/352

**معنى السخرية اصطلاحًا:**

مع نى السخرية الاستهانة والتحقير، والتنبيه على العيوب والنقائص، على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء إحياء علوم الدين للغزالي ص 192

- الفرق بين الاستهزاء والسخرية:

أن الإنسان يستهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يستهزأ به من أجله.

والسخر: يدل على فعل يسبق من المسخور منه، والعبارة من اللفظين تدل عن صحة ما قلناه، وذلك أنك تقول: استهزأت به.

فتعدى الفعل منك بالباء، والباء للإلصاق كأنك ألصقت به استهزاء من غير أن يدل على شيء وقع الاستهزاء من أجله، وتقول: سخرت م نه. فيقتضي ذلك من وقع السخر من أجله، كما تقول: تعجبت منه. فيدل ذلك على فعل وقع التعجب من أجله الفروق لأبي هلال العسكري ص 50 - الفرق بين السخرية واللعب:

أن في السخرية: خديعة واستنقاصًا لمن يسخر به، ولا يكون إلا بذي حياة.

وأما اللعب: فقد يكون بجماد، ولذلك أسند سبحانه السخرية إلى الكفار بالنسبة إلى الأنبياء كقوله سبحانه: وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه] هود: 38[ [ الفروق لأبي هلال العسكري ص 275

- قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرًا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ [الحجرات: 11 ].

قال ابن كثير: ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم،. فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدرًا عند الله، وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له؛. وقوله: ولا تلمزوا أنفسكم. أي: لا تلمزوا الناس. والهماز اللماز من الرجال مذموم ملعون. وقوله: ولا تنابزوا بالألقاب. أي: لا تتداعوا بالألقاب، وهي التي يسوء الشخص سماعها تفسير القرآن العظيم 7/376

وقال ابن جرير: إن الله عم بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السخرية، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره، ولا لذنب ركبه، ولا لغير ذلك جامع البيان 22 /376

- وقال سبحانه: ويل لكل همزة لمزة الذي جمع م الًا وعدده يحسب أن ماله أخلده كلا لينبذن في الحطمة [الهمزة: 1-4].

ويل أي: وعيد، ووبال، وشدة عذاب لكل همزة لمزة الذي يهمز الناس بفعله، ويلمزهم بقوله، فالهماز: الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللماز: الذي يعيبهم بقوله. ومن صفة هذا الهماز اللماز، أنه لا هم له سوى جمع المال وتعديده والغبطة به، وليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخيرات وصلة الأرحام، ونحو ذلك تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 934 ولقد سجل القرآن الكريم عاقبة الساخرين والمستهزئين من المؤمنين، وأخبر بانعكاس الوضعية يوم القيامة بصورة يصبح الساخرون موضع سخرية واستهزاء من طرف عباده المستضعفين في هذه الدنيا، قال الحق سبحانه: إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامز ون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون [المطففين: 29-34] قضايا اللهو والترفيه لمادون رشيد ص 206

- وقوله: أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين [الزمر: 56 ]

قال ابن كثير: قوله: وإن كنت لمن الساخرين أي: إنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير موقن مصدق تفسير القرآن العظيم 7/110

- وعن أم هانئ رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت قول الله تبارك وتعالى: وتأتون في ناديكم المنكر [العنكبوت: 29] ما كان ذلك المنكر الذي كانوا يأتونه؟ قال: كانوا يسخرون بأهل الطريق، ويخذفونهم؛ رواه الترمذي3190، وأحمد6/341 26935، والحاكم4 /316، والبيهقي في شعب الإيمان 5 /310 6755. قال الترمذي: حسن، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال ابن عدي في الكامل في الضعفاء 4/424: [فيه] سعيد بن زيد هو عندي في جملة من ينسب إلى الصدق

قال المباركفوري: اختلف في المنكر الذي كانوا يأتونه فيه، فقيل: كانوا يخذفون الناس بالحصباء ويستخفون بالغريب، وقيل: كانوا يتضارطون في مجالسهم قالته عائشة، وقيل: كانوا يأتون الرجال في مجالسهم وبعضهم يرى بعضًا، وقيل: كانوا يلعبون بالحمام، وقيل: كانوا يناقرون بين الديكة، ويناطحون بين الكباش؛ وقيل: يبزق بعضهم على بعض، ويلعبون بالنرد والشطرنج، ويلبسون المصبغات تحفة الأحوذي 9/36

- وكان ابن مسعود رضي الله عنه يجتني سواكًا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مم تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد رواه أحمد1/420 3991، والبزار5/221 1827، وابن حبان15 /546 7069، والطبراني9 /78 8452. صحح إسناده الطبري في مسند علي 163، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 9/292: رجاله رجال الصحيح، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق المسند 6 /39، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة 2750: صحيح بطرقه الكثيرة، وحسنه الوادعي في الصحيح المسند 849

- وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تحاسدوا، ولا تناجشوا النجش: هو مدح السلعة بما ليس فيها والزيادة في ثمنها وهو لا يريد شراءها بل ليغر غيره. فتح الباري لابن حجر1/ 193، ولا تباغضوا، ولا تدابروا[ 5742] لا تدابروا: أي لا يعطي كل واحد منكم أخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير2/ 97.، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه رواه مسلم2564

قوله: بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم يعني يكفي المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم، وهذا تعظيم لاحتقار المسلم، وأنه شر عظيم، لو لم يأت الإنسان من الشر إلا هذا؛ لكان كافيًا، فلا تحقرن أخاك المسلم، لا في خلقته، ولا في ثيابه، ولا في كلامه، ولا في خلقه، ولا غير ذلك، أخوك المسلم حقه عليك عظيم، فعليك أن تحترمه وأن توقره، وأما احتقاره فإنه محرم، ولا يحل لك أن تحتقره، وكذلك حديث ابن مسعود وحديث جندب بن عبد الله رضي الله عنهما كلاهما يدل على تحريم احتقار المسلم، وأنه لا يحل له شرح رياض الصالحين لابن عثيمين6 /260

- عن عبد الله بن مسعود قال: لو سخرت من كلب، لخشيت أن أكون كلبًا، وإني لأكره أن أرى الرجل فارغًا؛ ليس في عمل آخرة ولا دنيا رواه ابن أبي شيبة في المصنف 8 /390، وابن عساكر في تاريخ دمشق 33 /170، واللفظ له

- وقال أبو موسى الأشعري: لو رأيت رجلًا يرضع شاة في الطريق فسخرت منه، خفت أن لا أموت حتى أرضعها رواه بتمامه ابن أبي شيبة في المصنف 8 /389، وروى المرفوع منه مسلم في صحيحه2572

- وعن الأسود، قال: كنا عند عائشة فسقط فسطاط على إنسان فضحكوا، فقالت عائشة: لا سخر سخر منه وبه سخرا وسخرية: هزئ به. انظر: لسان العرب لابن منظور4/352.، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه بها خطيئة ]5748[ رواه أبو داود الطيالسي في المسند

1477 55/3

- وقال إبراهيم النخعي: إني لأرى الشيء أكرهه؛ فما يمنعني أن أتكلم فيه إلا مخافة أن أبتلى بمثله [ شعب الإيمان للبيهقي9/118

- وقال عمرو بن شرحبيل: لو رأيت رجلًا يرضع عنزًا فسخرت منه، خشيت أن أكون مثله الزهد لوكيع ص

589

- وقال يحيي بن معاذ: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثًا: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه تنبيه الغافلين للسمرقندي ص 165

- وقال القرطبي: من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق؛ الجامع لأحكام القرآن 16 /328

- وقال السفاريني: إن كل من افتخر على إخوانه واحتقر أحدًًا من أقرانه وأخدانه[5753] الأخدان: جمع خدن وهو الصاحب، ومن يخادنك في كل أمر ظاهر وباطن. القاموس المحيط للفيروزآبادي ص: 1193. أو سخر أو استهزأ بأحد من المؤمنين، فقد باء بالإثم والوزر المبين غذاء الألباب ص 134

- وقال ابن حجر الهيتمي: لا تحتقر غيرك عسى أن يكون عند الله خيرًا منك، وأفضل وأقرب [ الزواجر 2/8

آثار السخرية:

1- أن السخرية والاستهزاء تقطع الروابط الاجتماعية القائمة على الأخوة، والتواد، والتراحم.

2- تبذر بذور العداوة والبغضاء، وتورث الأحقاد والأضغان.

3- تولد الرغبة بالانتقام.

4- أن ضرر استهزائهم بالمؤمنين راجع إليهم.

5- حصول الهوان والحقارة للمستهزئ.

6- المستهزئ يعرض نفسه لغضب الله، وعذابه.

7- ضياع الحسنات يوم القيامة.

8- تولد الشعور بالانتقام.

9- السخرية نذير شؤم للساخرين، فقد كان الغرق عاقبة قوم نوح الذين كفروا بالله وسخروا من نوح.

10- السخرية تفقد الساخر الوقار، وتسقط عنه المروءة.

11- الساخر يظلم نفسه بتحقير من وقره الله عز وجل، واستصغار من عظمه الله.

12- السخرية تميت القلب، وتورثه الغفلة؛ حتى إذا كان يوم القيامة ندم الساخر على ما قدمت يداه، ولات ساعة مندم أن تقول نفس يا ح سرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين [الزمر: 56].

13- السخرية من سمات الكفار والمنافقين، وقد نهينا عن التشبه بهم.

14- الساخر متعرض للعقوبة في الدار العاجلة أيضًا، بأن يحدث له مثل ما حدث للمسخور منه.

15- بعد الناس عن المستهزئ لخوفهم منه، وعدم سلامتهم منه.

16- يصرف عن قبول الحق، واستماع النصح.

حكم من يسخر بالمؤمنين

**الاستهزاء بالمؤمنين له حالتان:**

الحالة الأولى: الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين بخلقهم أو خلقهم، وهو محرم بالإجماع، قال ابن حجر الهيتمي: وقد قام الإجماع على تحريم ذلك الزواجر 2/33

الحالة الثانية: الاستهزاء بالمؤمنين بسبب تمسكهم بالإسلام، وهذا يراعى فيه أمران:

الأمر الأول: أن يكون المستهزئ جاهلًا بأن ما يستهزئ به من الشريعة الإسلامية.

الأمر الثاني: أن لا يقصد المستهزئ باستهزائه ما يقوم به المسلم من الطاعات.

فإذا انتفى هذان الأمران، وقصد الاستهزاء بالمسلم بسبب تمسكه بالدين فهذا حكمه الردة عن الإسلام.

: ولا تلمزوا أنفسكم [الحجرات: 11] فجعل اللامز أخاه لامزًا نفسه؛ لأن المؤمنين كرجل واحد فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره، وطلب صلاحه، ومحبته الخير جامع البيان لابن جرير22/298

وقال أبو السعود في تفسيره: فإن مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور، والأشكال ولا الأوضاع والأطوار التي عليها يدور أمر السخرية غالبًا، بل إنما هو الأمور الكامنة في القلوب، فلا يجترئ أحد على اس تحقار أحد، فلعله أجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى، فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى، والاستهانة بمن عظمه الله تعالى

إرشاد العقل السليم 6/186

**الفرق بين الهمز واللمز:**

قال المبرد: الهمز هو أن يهمز الإنسان بقول قبيح من حيث لا يسمع، أو يحثه ويوسده على أمر قبيح أي يغريه به، واللمز أجهر من الهمز، وفي القرآن همزات الشياطين ]المؤمنون: 97[ ولم يقل لمزات؛ لأن مكايدة الشيطان خفية، قال: المشهور عند الناس أن اللمز العيب سرًا، والهمز العيب بكسر العين، وقال قتادة: يلمزك في الصدقات يطعن عليك، وهو دال على صحة القول الأول.

**الفرق بين الهمزة واللمزة:**

قيل هما بمعنى. وقيل بينهما فرق.

فإن الهمزة: الذي يعكس بظهر الغيب.

واللمزة: الذي يعكس في وجهك.

وقيل: الهمزة: الذي يؤذي جليسه بسوء لفظه.

واللمزة: الذي يكثر عيبه على جليسه، ويشير برأسه، ويومئ بعينه [الفروق لأبي هلال العسكري ص 559

وقيل: الهمزة: الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، واللمزة: الذي يلمزهم بلسانه، قاله ابن زيد.

أن الهمزة: الذي يهمز بلسانه، واللمزة: الذي يلمز بعينه، قاله سفيان الثوري زاد المسير لابن الجوزي 6/189

3- التنابز بالألقاب:

اللقب: هو ما يدعى به الشخص من لفظ غير اسمه وغير كنيته، وهو قسمان: قبيح، وهو ما يكرهه الشخص لكونه تقصيرًا به وذمًا؛ وحسن، وهو بخلاف ذلك، كالصديق لأبي بكر، والفاروق لعمر، وأسد الله لحمزة، رضي الله تعالى عنهم تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي8/79

قال ابن عباس: التنابز بالألقاب أن يكون الرجل قد عمل السيئات ثم تاب، فنهى الله أن يعير بما سلف رواه الطبري في جامع البيان 22 /301-302

ثم إن التنابز بالألقاب التي هي مما يؤذي الناس، إذ يحمل معنى التحقير والإهانة، نهى الله عنه، وجعله من المحرمات، وجعله من الفسوق والظلم، وربما يصل التنابز بالألقاب إلى مستوى الشتيمة، كالنبز بالحمار، والثور، والكلب، ونحو ذلك.

ومن شأن التنابز بالألقاب أنه يقطع أواصر الأخوة الإيمانية، ويفسد المودات، ويولد العداوات والأحقاد، وربما يوصل إلى التقاتل مع ثورات الغضب، وهيجان الحماقات[ الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني2 /227

ويستثنى من النهي بالتنابز بالألقاب؛ الألقاب الحسنة كالصديق، والفاروق وغيرها، وكذلك التي هي للشهرة كالأعمش وغيرها.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان [الحجرات: 11]: من لقب أخاه وسخر به فهو فاسق، والسخرية الاستحقار والاستهانة، والتنبيه على العيوب والنقائص يوم يضحك منه، وقد يكون بالمحاكاة بالفعل، أو القول، أو الإشارة، أو الإيماء، أو الضحك على كلامه إذا تخبط فيه أو غلط، أو على صنعته، أو قبيح صورته الزواجر للهيتمي 34/2

وقال الخازن: قال بعض العلماء: المراد بهذه الألقاب ما يكرهه المنادى به أو يفيد ذمً ا له، فأما الألقاب التي صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها، إذا لم يكرهها المدعو بها، وأما الألقاب التي تكسب حمدًا ومدحًا تكون حقًا وصدقًا فلا يكره، كما قيل لأبي بكر: عتيق، ولعمر: الفاروق، ولعثمان: ذو النورين، ولعلي: أبو تراب، ولخالد سيف الله، ونحو ذلك[ لباب التأويل 4/181]

4- التعيير والتهكم:

معنى التعيير أن يريد الإنسان ذم رجل، وتنقصه وإظهار عيبه؛ لينفر الناس عنه؛ إما محبة لإيذائه أو لعداوته؛ أو مخافة من مزاحمته على مال أو رئاسة أو غير ذلك من الأسباب المذمومة، فلا يتوصل إلى ذلك إلا بإظهار الطعن فيه بسبب].

الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب ص 25

وقال الكفوي في معنى التهكم: هو ما كان ظاهره جدًا وباطنه هزلًا، والهزل الذي يراد به الجد بالعكس، ولا تخلو ألفاظ التهكم من لفظة من اللفظ الدال على نوع من أنواع الذم، أو لفظة من معناها الهجو الكليات ص 303

وعن المعرور بن سويد قال: لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه حلة الحلة: ثوبان لا يكون واحدا وهما إزار ورداء. شرح النووي على مسلم 4/ 219.، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلًا فعيرته بأمه، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم [ رواه البخاري30]

**أسباب السخرية ودوافعها كثيرة منها:**

1- الكبر الذي يلازمه بطر الحق وغمط الناس.

2- الرغبة بتحطيم مكانة الآخرين.

3- التسلية والضحك على حساب آلام الآخرين.

4- الاستهانة بأقوال الآخرين وأعمالهم، أو خلقتهم، أو طبائعهم، أو أسرهم، أو أنسابهم، إلى غير ذلك.

5- الفراغ وحب إضحاك الآخرين.

**الظن:**

**معنى الظن لغةً:**

الظن: شك ويقين، إلا أنه ليس بيقين عيان، إنما هو يقين تدبر. وجمع الظن الذي هو الاسم: ظنون انظر: لسان العرب لابن منظور13/272

**معنى الظن اصطلاحًا:**

قال الجرجاني: الظن هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك، وقيل: الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان التعريفات 1 /187

**الفرق بين الشك والظن والوهم:**

الشك: خلاف اليقين، وأصله اضطراب النفس، ثم استعمل في ال تردد بين الشيئين سواء استوى طرفاه، أو ترجح أحدهما على الآخر. قال تعالى: فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك [يونس: 94] أي: غير مستيقن. وقال الأصوليون: هو تردد الذهن بين أمرين على حد سواء.

وقيل: التردد بين الطرفين إن كان على السواء فهو الشك، وإلا فالراجح: ظن، والمرجوح: وهم انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري1/304

- وقال الله تبارك وتعالى: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضًا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم [الحجرات: 12].

قال ابن حجر الهيتمي: عقب تعالى بأمره باجتناب الظن، وعلل ذلك بأن بعض الظن إثم، وهو ما تخيلت وقوعه من غيرك من غير مستند يقيني لك عليه، وقد صمم عليه قلبك، أو تكلم به لسانك من غير مسوغ شرعي الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي2 /9

ويقول الطبري: يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا تقربوا كثيرًا من الظن بالمؤمنين، وذلك إن تظنوا بهم سوءًا، فإن الظان غير محق، وقال جل ثناؤه: اجتنبوا كثيرًا من الظن ولم يقل: الظن كله، إذ كان قد أذن للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير، فقال: لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا وقالوا هذا إفك مبين [النور: 12]، فأذن الله جل ثناؤه للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير، وأن يقولوه، وإن لم يكونوا من قيله فيهم على يقين عن ابن عباس، قوله يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا م ن الظن يقول: نهى الله المؤمن أن يظن بالمؤمن شرًا. وقوله: إن بعض الظن إثم يقول: إن ظن المؤمن بالمؤمن الشر لا الخير، إثم؛ لأن الله قد نهاه عنه، ففعل ما نهى الله عنه إثم تفسير الطبري 22 /303-304

- قال الله تبارك وتعالى: لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا وقالوا هذا إفك مبين [النور: 12].

قال ابن عاشور في تفسيره: فيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالةً في مؤمن، أن يبني الأمر فيها على الظن لا على الشك، ثم ينظر في قرائن الأحوال وصلاحية المقام، فإذا نسب سوء إلى من عرف بالخير، ظن أن ذلك إفك وبهتان، حتى يتضح البرهان. وفيه تعريض بأن ظن السوء الذي وقع هو من خصال النفاق، التي سرت لبعض المؤمنين عن غرور وقلة بصارة، فكفى بذلك تشنيعًا له التحرير والتنوير لابن عاشور18 /174- 175

وقال أبو حيان الأندلسي: فيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالةً في أخيه، أن يبني الأمر فيه على ظن الخير، وأن يقول بناء على ظنه: هذا إفك مبين، هكذا باللفظ الصريح ببراءة أخيه، كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال. وهذا من الأدب الحسن البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي 8/21-22

وقال الخازن: والمعنى: كان الواجب على المؤمنين إذ سمعوا قول أهل الإفك أن يكذبوه ويحسنوا الظن، ولا يسرعوا في التهمة، وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن3 /288

فوجب علينا حسن الظن بالمسلمين ولا نشيع الفاحشة في المؤمنين

- عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانًا أخرجه عبد الرزاق 20228، وأحمد8103، والبخاري في الأدب المفرد 6064

قال النووي: المراد: النهي عن ظن السوء، قال الخطابي: هو تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهجس في النفس، فإن ذلك لا يم لك. ومراد الخطابي أن المحرم من الظن ما يستمر صاحبه عليه، ويستقر في قلبه، دون ما يعرض في القلب ولا يستقر، فإن هذا لا يكلف به شرح النووي على مسلم 16 /119

قال الغزالي: أي: لا يحققه في نفسه بعقد ولا فعل، لا في القلب ولا في الجوارح، أما في القلب فبتغيره إلى النفرة والكراهة، وأما في الجوارح فبالعمل بموجبه. والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس، ويلقي إليه أن هذا من فطنتك، وسرعة فهمك وذكائك، وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى، وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته إحياء علوم الدين للغزالي3 /151

- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة، فقال: ما أعظم حرمتك. وفي رواية أبي حازم: لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة، قال: مرحبًا بك من بيت، ما أعظمك وأعظم حرمتك، وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك، إن الله حرم منك واحدة، وحرم من المؤمن ثلاثًا: دمه، وماله، وأن يظن به ظن السوء [1094] رواه البيهقي في شعب الإيمان 5 /296 6706، ضعف إسناده العراقي في تخريج الإحياء 3/186، وقال في موضع آخر2/221: رجاله ثقات، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة 3420:

إسناده حسن رجاله ثقات

قال الغزالي: فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال، وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة. فإذا لم يكن كذلك، وخطر لك وسواس سوء الظ ن، فينبغي أن تدفعه عن نفسك، وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان، وأن ما رأيته منه يحتمل الخير والشر. فإن قلت: فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج، والنفس تحدث؟ فتقول: أمارة عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه عما كان، فينفر عنه نفورً ا ما، ويستثقله، ويفتر عن مراعاته، وتفقده وإكرامه، والاغتمام بسببه. فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه إحياء علوم الدين للغزالي 3 /151

- وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة وهو يقول: ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك. والذي نفس محمد بيده، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه، وأن نظن به إلا خيرًا رواه ابن ماجه 785، قال البوصيري في زوائد ابن ماجه 2/284: إسناده فيه مقال. وقال ابن حجر في الكافي الشاف 268: إسناده فيه لين. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة 512: إسناده لين. وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: 3420، و صحيح الترغيب والترهيب رقم: 2441

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يحل لامرئ مسلم يسمع من أخيه كلمة يظن بها سوءًا، وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجًا. وقال أيضًا: لا ينتفع بنفسه من لا ينتفع بظنه الآداب الشرعية لابن مفلح 1 /47

- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من علم من أخيه مروءة جميلة فلا يسمعن فيه مقالات الرجال، ومن حسنت علانيته فنحن لسريرته أرجى ذكره ابن بطال في شرح صحيح البخاري 9 /261

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا إذا فقدنا الرجل في صلاة العشاء وصلاة الفجر، أسأنا به الظن رواه الطبراني 12 /271 13085، والبيهقي3 /59 5152. قال الهيثمي في مجمع الزوائد 2/43: رجال الطبراني موثقون.

وصحح إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة 7 /209

- وعن سعيد بن المسيب قال: كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله: أن ضع أمر أخيك على أحسنه، ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرًا، وأنت تجد لها في الخير محملًا الاستذكار لابن عبد البر 291/8

- وقال المهلب: قد أوجب الله تعالى أن يكون ظن المؤمن بالمؤمن حسنًا أبدًا، إذ يقول: لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا وقالوا هذا إفك مبين [النور: 12]، فإذا جعل الله سوء الظن بالمؤمنين إفكًا مبينًا، فقد ألزم أن يكون حسن الظن بهم صدقًا بينًا شرح صحيح البخاري لابن بطال 9 /261

- وروى معمر عن إسماعيل بن أمية قال: ثلاث لا يعجزن ابن آدم، الطيرة، وسوء الظن والحسد. قال: فينجيك من سوء الظن أن لا تتكلم به، وينجيك من الحسد أن لا تبغي أخاك سوءًا، وينجيك من الطيرة أن لا تعمل بها شرح صحيح البخاري لابن بطال9/261.

- وقال قتادة: إن الظن اثنان: ظن ينجي، وظن يردي انظر: تفسير القرطبي 15/353

**فوائد حسن الظن:**

1- حسن الظن علامة على كمال الإيمان في قلب المتحلي به، فلا يظن بالمؤمنين خيرًا إلا من كان منهم، كما قال تبارك وتعالى في سورة النور: لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا وقالوا هذا إفك مبين [النور: 12].

2- فيه إغلاق باب الفتنة والشر على الشيطان الرجيم؛ فإن من أبوابه سوء الظن بالمسلمين، قال الله تعالى: يا أيها الذ ين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن [الحجرات: 12]، فمن يحكم بشر على غيره بالظن، بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك، أو يقصر في القيام بحقوقه، أو يتوانى في إكرامه، وينظر إليه بعين الاحتقار، ويرى نفسه خيرًا منه. وكل ذلك من المهلكات إحياء علوم الدين للغزالي 3 /36

3- طريق من طرق زيادة الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع المسلم، وحماية له من التفكك والتشرذم.

4- حصن منيع يحمي المجتمع من إشاعة الفاحشة، وانتشار الرذيلة، وبه يسلم المجتمع من انتهاك حقوق الناس وأعراضهم وخصوصياتهم.

5- دليل على سلامة القلب وطهارة النفس، وزكاء الروح.

**أقسام الظن**

**ينقسم الظن من حيث الحمد والذم إلى قسمين:**

1- ظن محمود:

وهو ما عبرنا عنه هنا بحسن الظن، وهو المقصود هنا، قال القرطبي: الظن في الشريعة قسمان: محمود ومذموم، فالمحمود منه: ما سلم معه دين الظان والمظنون به عند بلوغه. والمذموم ضده تفسير القرطبي 16 /332

2- ظن مذموم:

وهو ضد الأول المحمود، كما سبق في كلام القرطبي، ولزيادة توضيحه وبيانه نقول: هو ما تخيلت وقوعه من غيرك من غير مستند يقيني لك عليه، وقد صمم عليه قلبك، أو تكلم به لسانك من غير مسوغ شرعي الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي 2/9

وهو سوء الظن المنهي عنه شرعًا، والذي حذرنا منه كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد أجاز العلماء بعض صوره، قال أبو حاتم: سوء الظن على ضربين:

أحدهما: منهي عنه بحكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

والآخر: مستحب.

فأما الذي نهى عنه، فهو استعمال سوء الظن بالمسلمين كافةً، وأما الذي يستحب من سوء الظن، فهو كمن بينه وبين آخر عداوة أو شحناء في دين أو دنيا، يخاف على نفسه من مكره، فحينئذ يلزمه سوء الظن بمكائده ومكره؛ كي لا يصادفه على غرة بمكره فيهلكه.

1- حسن الظن بالله:

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل[ رواه مسلم7782]

فإحسان الظن بالله تبارك وتعالى واجب، وهو أنس للعبد في حياته، ومنج ى له بعد مماته، قال النووي في شرحه على صحيح مسلم: قال العلماء: معنى حسن الظن بالله تعالى: أن يظن أنه يرحمه، ويعفو عنه. قالوا: وفي حالة الصحة يكون خائفًا، راجيًا، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح. فإذا دنت أمارات الموت، غلب الرجاء، أو محضه؛ لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي، والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات، والأعمال، وقد تعذر ذلك، أو معظمه في هذا الحال، واستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى، والإذعان له انظر: شرح النووي على مسلم 9/256

وقال ابن القيم: كلما كان العبد حسن الظن بالله، حسن الرجاء له، صاد ق التوكل عليه: فإن الله لا يخيب أمله فيه البتة؛ فإنه سبحانه لا يخيب أمل آمل، ولا يضيع عمل عامل، وعبر عن الثقة وحسن الظن بالسعة؛ فإنه لا أشرح للصدر، ولا أوسع له بعد الإيمان من ثقته بالله، ورجائه له، وحسن ظنه به [مدارج السالكين لابن القيم1/471]. وقال أيضًا: فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له، يكون توكلك عليه؛ ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله، والتحقي ق:أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه، إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه [مدارج السالكين لابن القيم121/2]

وقال داود الطائي: ما نعول إلا على حسن الظن بالله تعالى، فأما التفريط فهو المستولي على الأبدان ] محاسبة النفس لابن أبي الدنيا1/46

**2- حسن الظن بين الرؤساء والمرؤوسين:**

لا ينتظم أمر هذه الأمة إلا بالعلاقة الحسنة بين أفرادها رؤساء ومرؤوسين، لذا كان من وصية علي رضي الله عنه للأشتر عندما ولاه مصر: اعلم أنه ليس شيء أدعى إلى حسن ظن وال برعيته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عنهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصبًا طويلًا، وإن أحق من حسن ظنك به، لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به، لمن ساء بلاؤك عنده. [التذكرة الحمدونية لابن حمدون319 - 813/1]

وقال طاهر بن الحسين لابنه وهو يوصيه: ولا تتهمن أحدًا من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره، فإن إيقاع التهم بالبرآء، والظنون السيئة بهم مأثم، واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك، واطرد عنك سوء الظن بهم، وارفضه فيهم، يعينك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم، لا يجدن عدو الله الشيطان في أمرك مفخرًا، فإنه إنما يكتفي بالقليل من وهنك، فيدخل عليك من الغم في سوء الظن ما ينغصك لذاذة عيشك، واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة، وتكفى به ما أحببت كفايته من أمورك، وتدعو به الناس إلى محبتك، والاستقامة في الأمور كلها لك، ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك، أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك، والمباشرة لأمور الأول ياء، والحياطة للرعية، والنظر في حوائجهم وحمل مؤوناتهم، آثر عندك مما سوى ذلك، فإنه أقوم للدين، وأحيا للسن ةجمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة لأحمد زكي137-631/3

**3 - حسن الظن بالإخوان والأصدقاء:**

على المسلم أن يحسن الظن بإخوانه المسلمين عامة، وبأصدقائه المقربين خاصة، وهذا ما أرشدنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أنه واجب على المسلم تجاه أخيه المسلم، فيجب على المسلم أن يلتمس لإخوانه الأعذار ما استطاع، ويحمل عليها ما يبلغه عنهم من قول أو فعل. فإذا لم يجد محملًا، فليقل: لعل لهم عذرًا لم أعرفه.

فإذا لم تطق ما سمعت من قول أو فعل أو تصرف، فاذهب إلى أخيك وصارحه بالأمر، وبين له، فإن كان أخطأ بادر بتصحيح خطئه، وإن لم يكن كذلك أزال ما في قلبك من لبس، وبين لك حقيقة الأمر فتطيب نفسك بذلك.

إن الخطأ في حسن الظن بالمسلم، أسلم من الصواب بالطعن فيهم، فلو سكت إنسان مثلًا عن لعن إبليس، أو لعن أبي جهل، أو أبي لهب، أو من شاء من الأشرار طول عمره، لم يضره السكوت، ولو هفا هفوة بالطعن في مسلم بما هو بريء عند الله تعالى منه فقد تعرض للهلاك، بل أكثر ما يعلم في الناس لا يحل النطق به؛ لتعظيم الشرع الزجر عن الغيبة، مع أنه إخبار عما هو متحقق في المغتاب. فمن يلاحظ هذه الفصول، ولم يكن في طبعه ميل إلى الفضول، آثر ملازمته السكوت وحسن الظن بكافة المسلمين، وإطلاق اللسان بالثناء على جميع السلف الصالحين. هذا حكم الصحابة عامة الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي97/1

**4- حسن الظن بين الزوجين:**

إن إحسان الظن بين الزوجين من أهم الدعائم التي يبنى عليها البيت الدائم والمستقر والمطمئن، وبغير حسن الظن: فإن البيوت مهددة بالانهيار والتشرذم والفرقة والطلاق.

لا بد أن يكون بين الزوجين حسن ظن متبادل، وألا يتركا للشيطان مجالًا للتلاعب بهما، وقذف الشكوك في قلبيهما؛ لأنه متى ما انفتح باب إساءة الظن بينهما صعب إغلاقه، وجر ذلك إلى ويلات قد تهدد استقرار البيت بأكمله.

هناك الكثير من الأزواج والزوجات أصحاب طبيعة قلقة، وأنفس متوترة، يغلبون جانب الشكوك على جانب السلامة، فتراهم يجنحون إلى سوء الظن، ويفسرون الأمو ر على أسو أ تفسيراتها وأردأ احتمالاتها، وفي هذا خطر كبير على استمرار الحياة الأسرية، فينبغي على الأزواج والزوجات أن يغلبوا حسن الظن، ويطردوا الشك والريبة.

جاء رجل ذا رجل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد داخلته الريبة في امرأته، وأحاطت به ظنون السوء فيها؛ لأنها ولدت غلامًا أسود، على غير لونه ولونها، فأزال النبي صلى الله عليه وسلم ما في قلبه من ظن وريبة، بسؤاله عن لون إبله، فقال: ألوانها حمر. قال: هل فيها من أورق [1121] الأورق: هو الذي فيه سواد ليس بصاف. شرح النووي على مسلم 10 /133.؟ قال: نعم. قال: فأنى ذلك؟ قال: لعله نزعه عرق. قال: فلعل ابنك هذا نزعه عرق نزعة عرق: العرق الأصل من النسب تشبيهًا بعرق الثمرة. ومعنى نزعه: أشبهه واجتذبه إليه وأظهر لونه عليه. شرح النووي على مسلم 10 /133. [1123] رواه البخاري5305، ومسلم1500

قد كان الصحابة رضوان الله عليهم، مثالًا يحتذى بهم في حسن الظن بالمؤمنين، فهذا أبو أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب. أكنت أنت يا أم أيوب فاعلة ذلك؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله رواه الطبري في تفسيره 17 /212

قالوا: من جعل لنفسه من حسن الظن بإخوانه نصيبًا، أراح قلبه.

يعني إن الرجل إذا رأى من أخيه إعراضًا أو تغيرًا، فحمله منه على وجه جميل، وطلب له الأعذار، خفف ذلك عن قلبه، وقل منه غيظه واغتمامه الأمثال لابن سلام ص 184

وقال الخليل بن أحمد: يجب على الصديق مع صديقه استعمال أربع خصال: الصفح قبل الاستقالة، وتقديم حسن الظن قبل التهمة، والبذل قبل المسألة، ومخرج العذر قبل العتب. وقال رجل لمطيع بن إياس: جئتك خاطبًا لمودتك. قال: قد زوجتكها على شرط أن تجعل صداقها أن لا تسمع في مقالة الناس. وقالوا: الستر لما عاينت، أحسن من إذاعة ما ظننت غرر الخصائص الواضحة لأبي إسحاق الوطواط ص 542

**الوسائل المعينة على حسن الظن:**

1- دعاء الله سبحانه، والابتهال إليه حتى يمن عليك بقلب سليم، فالدعاء علاج ناجع، ووسيلة نافعة، ليس لهذه الصفة فحسب، بل لجميع الأمور الدينية والدنيوية.

2- الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام، وسلف الأمة الصالح في حسن ظنهم ببعضهم، وتعاملهم مع الإشاعات والأكاذيب، ومحافظتهم على أواصر الحب والمودة بينهم.

3- التربية الحسنة للأبناء منذ نعومة أظفارهم، على حسن الظن، فينمو الفرد، ويترعرع في ظل هذه الصفة الحميدة، فتتجذر في نفسه، وتتأصل في داخله، وتصبح سجية له لا تنفك عنه أبد ًا بإذن الله.

4- أن ينزل المرء نفسه منزلة غيره، وهو علاج رباني، ودواء قرآني، أرشد الله إليه المؤمنين، وعلمهم إياه، حيث قال: لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا وقالوا هذا إفك مبين [النور: 12]، فأشعرهم تبارك وتعالى أن المؤمنين كيان واحد، وضرر الفرد منهم ضرر للجماعة بأكملها.

ولو استشعر كل مؤمن هذا الأمر عند صدور فعل أو قول من أخيه، فوضع نفسه مكانه، لدعاه ذلك إلى إحسان الظن بالآخرين.

5- محاولة زيادة الإيمان بفعل الخيرات والطاعات، وعلاج أمراض القلب من الحسد والغل والخيانة وغيرها، فمتى ما زاد إيمان المرء وصفى قلبه من هذه الأمراض والأوبئة، حسن ظنه بإخوانه.

6- حمل الكلام على أحسن محامله ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

7- أن يلتمس المؤمن الأعذار للمؤمنين، قال ابن سيرين: إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرًا، فإن لم تجد، فقل: لعل له عذرًا لا أعرفه روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار للأماسي 1 /70

وفي التماس الأعذار راحة للنفس من عناء الظن السيئ، الذي يشغلها ويقلقها، وفيه أيضًا إبقاء على المودة، وحفاظ عليها من الزوال والان تهاء.

تأن ولا تعجل بلومك صاحب العل له عذرًا وأنت تلوم المستقصى في أمثال العرب للزمخشري 2 /282.

8- إجراء الأحكام على الظاهر، ويوكل أمر الضمائر إلى الله عز وجل، ويتجنب الحكم على النيات، فإن الله لم يكلفنا أن نفتش في ضمائر الناس.

والاكتفاء بظاهر الشخص، والحكم عليه من خلاله، من أعظم بواعث حسن الظن، وأقوى أسبابها.

9- أن يستحضر العبد الآفات التي تنتج عن سوء الظن، وما يترتب عليه من آثار، فهو دافع لأن يحسن الرجل ظنه بغيره.

10- البعد عن كل من اتصف بما يضاد هذه الصفة الحسنة، ممن لا يتورعون عن إلقاء التهم على عباد الله جزافًا، بلا تثبت.

وهؤلاء هم أسوأ الناس، فقد قيل لبعض العلماء: من أسوأ الناس حالًا؟ قال: من لا يثق بأحد لسوء ظنه، ولا يثق به أحد لسوء فعله انظر: البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ ص 32، بتصرف يسير

**سوء الظن:**

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث [ رواه البخاري5143، ومسلم2563]

قال الصنعاني: المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: إياكم والظن سوء الظن به تعالى، وبكل من ظاهره العدالة من المسلمين وقوله: فإن الظن أكذب الحديث. سماه حديثًا؛ لأنه حديث النفس، وإنما كان الظن أكذب الحديث؛ لأن الكذب مخالفة الواقع من غير استناد إلى أمارة، وقبحه ظاهر لا يحتاج إلى إظهاره. وأما الظن فيزعم صاحبه أنه استند إلى شيء، فيخفى على السامع كونه كاذبًا بحسب الغالب، فكان أكذب الحديث، والحديث وارد في حق من لم يظهر منه شتم ولا فحش ولا فجور [ انظر: سبل السلام 2/664-665]

وقال الملا علي القاري:. إياكم والظن. أي: احذروا اتباع الظن في أمر الدين الذي مبناه على اليقين، قال تعالى: وما يتبع أكثرهم إلا ظنًا إن الظن لا يغني من الحق شيئًا [يونس: 36]، قال القاضي: التحذير عن الظن فيما يجب فيه القطع، أو التحدث به عند الاستغناء عنه أو عما يظن كذبه أو اجتنبوا الظن في التحديث والإخبار، ويؤيده قوله: فإن الظن. في موضع الظاهر زيادة تمكين في ذهن السامع حثًا على الاجتناب أكذب الحديث[ مرقاة المفاتيح 8 /3147]

- وعن صفية بنت حيي قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم معتكفًا، فأتيته أزوره ليلًا، فحدثته، ثم قمت لأنقلب، فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: على رسلكما، إنها صفية بنت حيي. فقالا: س بحان الله يا رسول الله، قال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًا أو قال: شيئًا رواه البخاري 3281، ومسلم2175

قال النووي: الحديث فيه فوائد، منها بيان كمال شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته، ومراعاته لمصالحهم، وصيانة قلوبهم وجوارحهم، وكان بالمؤمنين رحيمًا؛ فخاف صلى الله عليه وسلم أن يلقي الشيطان في قلوبهما فيهلكا؛ فإن ظن السوء بالأنبياء كفر بالإجماع، والكبائر غير جائزة عليهم، وفيه أن من ظن شيئًا من نحو هذا بالنبي صلى الله عليه وسلم كفر

وفيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان، وطلب السلامة، والاعتذار بالأعذار الصحيحة، وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق، وقد يخفى أن يبين حاله ليدفع ظن السوء [شرح النووي على مسلم 14 /156- 157]

- وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم [ رواه أبو داود 4889، وأحمد6 /4 23866، والطبراني8 /108 7516، والحاكم4/419، والبيهقي8 /333 17402. ]

والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الهيثمى5/218: رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات، وحسنه ابن حجر في تخريج مشكاة المصابيح 3/469 كما قال في المقدمة، وصححه لغيره الألباني في صحيح سنن أبي داود

قال المناوي:. إن الأمير إذا ابتغى الريبة. أي: طلب الريبة، أي: التهمة في الناس بنية فضائحهم أفسدهم وما أمهلهم، وجاهرهم بسوء الظن فيها، فيؤديهم ذلك إلى ارتكاب ما ظن بهم ورموا به ففسدوا، ومقصود الحديث حث الإمام على التغافل، وعدم تتبع العورات؛ فإن بذلك يقوم النظام ويحصل الانتظام، والإنسان قل ما يسلم من عيبه، فلو عاملهم بكل ما قالوه أو فعلوه اشتدت عليهم الأوجاع، واتسع المجال، بل يستر عيوبهم، ويتغافل ويصفح، ولا يتبع عوراتهم، ولا يتجسس عليهم [5911] فيض القدير 2 /323

- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله، ثم أساء رجل الظن برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار 3 /257

- وعنه أيضً ا: ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن [ ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار 3 /257]

- وقال ابن عباس: إن الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه، وأن يظن به ظن السوء إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي2/177، قال العراقي في تخريج الإحياء 2/221: أخرجه الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله: وعرضه، ورجاله ثقات

- وقال ابن مسعود: الأمانة خير من الخاتم، والخاتم خير من ظن السوء ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز

5/134. وقد رواه ابن أبي شيبة مسندا عن أبي ذر13 /341

- وقال سلمان الفارسي: إني لأعد غراف قدري مخافة الظن ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز 5/134

- وقال ابن عطية: كان أبو العالية يختم على بقية طعامه؛ مخافة سوء الظن بخادمه ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز 5 /134

- وقال القاضي عياض: ظن ال سوء بالأنبياء كفر [ إكمال المعلم 7 /63]

- وقال الغزالي: سوء الظن غيبة بالقلب إحياء علوم الدين 2 /177

- وقال الخطابي: الظن منشأ أكثر الكذب عمدة القاري لبدر الدين العيني23 /232

- وقال إسماعيل بن أمية: ثلاث لا يعجزن ابن آدم: الطيرة وسوء الظن والحسد. قال: فينجيك من الطيرة ألا تعمل بها، وينجيك من سوء الظن ألا تتكلم به، وينجيك من الحسد ألا تبغي أخاك سوءًا غريب الحديث للخطابي 1 /85 - وقال الحارث المحاسبي: احم القلب عن سوء الظن بحسن التأويل [ رسالة المسترشدين 1/89]

**من آثار سوء الظن:**

1- سبب للوقوع في الشرك والبدعة والضلال:

سوء الظن بالله سبب في الوقوع في الشرك، قال ابن القيم: الشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن بالله تعالى لأن الشرك هضم لحق الربوبية، وتنقيص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين، ولهذا قال إبراهيم إمام الحنفاء لخصمائه من المشركين: أئفكًا آلهةً دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين [الصافات: 86-87] انظر: إغاثة اللهفان 1 /60-62

قال المقريزي: اعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع وجدت أصل ضلالهم راجعًا إلى شيئين: أحدهما: الظن بالله ظن السوء [5924] رسائل المقريزي 1/102 بتصرف يسير

2- أنها صفة كل مبطل ومبتدع:

قال تعالى: وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين [فصلت: 23 ]

قال ابن القيم: كل مبطل وكافر ومبتدع مقهور مستذل، فهو يظن بربه هذا الظن وأنه أولى بالنصر والظفر والعلو من خصومه، فأكثر الخلق بل كلهم إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق ظن السوء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله ولسان حاله يقول: ظلمني ربي، ومنعني ما أستحقه. ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره، ولا يتجاسر على التصريح به، ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها رأى ذلك فيها كامنًا كمون النار في الزناد زاد المعاد 3 /211، والصواعق المرسلة 4/1356، والداء والدواء 1/138

3- سبب في استحقاق لعنة الله وغضبه:

قال تعالى: ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرًا [الفتح: 6].

قال ابن القيم: توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم، كما قال تعالى: عليهم دائرة السوء و غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرًا [الفتح: 6] [ الداء والدواء 1 /138]

4- يورث الإنسان الأخلاق السيئة:

سوء الظن يورث الإنسان الأخلاق السيئة كالجبن والبخل والشح والحقد والحسد والتباغض

قال ابن عباس: الجبن والبخل والحرص غرائز سوء يجمعها كلها سوء الظن بالله عز وجل الآداب الشرعية لابن مفلح1 /47

وقال ابن القيم: الشح فهو خلق ذميم يتولد من سوء الظن، وضعف النفس، ويمده وعد الشيطان [ الروح 1/237]

وقال المهلب: التباغض والتحاسد أصلهما سوء الظن، وذلك أن المباغض والمحاسد يتأول أفعال من يبغضه ويحسده على أسوأ التأويل شرح صحيح البخاري لابن بطال9/261

5 - من أساء الظن أساء العمل:

قال الطبري -بسنده إلى الحسن-: تلا الحسن: وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم [فصلت: 23] فقال: إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم؛ فأما المؤمن فأحسن بالله الظن، فأحسن العمل، وأما الكافر والمنافق، فأساءا الظن فأساءا العمل جامع البيان 21 /456-457

6- سبب في وجود الأحقاد والعداوة:

فإن الظن السيئ يزرع الشقاق بين المسلمين، ويقطع حبال الأخوة، ويمزق وشائج المحبة، ويزرع العداء والبغضاء والشحناء ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث لمحمد عبد الحكيم1 /210

قال ابن القيم: أما سوء الظن فهو امتلاء قلبه بالظنون السيئة بالناس، حتى يطفح على لسانه وجوارحه فهم معه أبدًًا في الهمز واللمز والطعن والعيب والبغض، يبغضهم ويبغضونه ويلعنهم ويلعنونه ويحذرهم ويحذرون منه. ويلحقه أذاهمخارج منهم مع الغش والدغل والبغض الروح 1 /238

7- يؤدي إلى تتبع عورات المسلمين:

قال الغزالي: من ثمرات سوء الظن التجسس، فإن القلب لا يقنع بالظن، ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضًا منهي عنه، قال الله تعالى: ولا تجسسوا [الحجرات: 12]. فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة، ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله، فيتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر؛ حتى ينكشف له ما لو كان مس تورًا عنه كان أسلم لقلبه ودينه إحياء علوم الدين 3 /152

8- سبب للمشكلات العائلية:

فـمن أسباب المشاكل العائلية سوء الظن من أحدهما وغضبه قبل التذكر والتثبت؛ فيقع النزاع وربما حصل فراق، ثم تبين الأمر خلاف الظن [ موارد الظمآن لدروس الزمان لعبد العزيز السلمان4 /272]

وقال ابن القيم: الغيرة مذمومة منها غيرة يحمل عليها سوء الظن، فيؤذى بها المحب محبوبه، ويغري عليه قلبه بالغضب، وهذه الغيرة يكرهها الله إذا كانت في غير ريبة، ومنها غيرة تحمله على عقوبة المحبوب بأكثر مما يستحقه روضة المحبين ونزهة المشتاقين 1 /311

9- إضعاف الثقة بين المؤمنين [ 5936] الرائد دروس في التربية والدعوة لمازن الفريح2 /168

10- من مداخل الشيطان الموقعة في كبائر الذنوب:

قال الغزالي: من عظيم حيل الشيطان سوء الظن بالمسلمين، قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم [الحجرات: 12]، فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة، فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه، أو يتوانى في إكرامه، وينظر إليه بعين الاحتقار، ويرى نفسه خيرًا منه، وكل ذلك من المهلكات إحياء علوم الدين 3/36

11- سبب في مرض القلب، وعلامة على خبث الباطن:

قال الغزالي: مهما رأيت إنسانًا يسيء الظن بالناس طالبًا للعيوب، فاعلم أنه خبيث الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه، وإنما رأى غيره من حيث هو، فإن المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العيوب، والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق [5938]إحياء علوم الدين 3 /36

12- يسبب عدم الثقة بالآخرين:

قال الزمخشري: قيل لعالم: من أسوأ الناس حالًا؟ قال: من لا يثق بأحد لسوء ظنه، ولا يثق به أحد لسوء فعله ربيع الأبرار 3/298

**حكم الظن بالنفس:**

سوء الظن بالنفس اختلف فيه العلماء، فمنهم من رأى الاستحباب. قال ابن القيم: أما سوء الظن بالنفس فإنما احتاج إليه؛ لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش، ويلبس عليه، فيرى المساوئ محاسن، والعيوب كمالًا، فإن المحب يرى مساوئ محبوبه وعيوبه كذلك.

فعين الرضى عن كل عيب كليلة - كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولا يسيء الظن بنفسه إلا من عرفها، ومن أحسن ظنه بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه مدارج السالكين 1/189، أدب الدنيا والدين للماوردي1 /235-236

وضابط سوء الظن بالنفس هو اتهام النفس، فلا يتهم ربه، وإنما يتهم الإنسان نفسه بالتقصير، ويعاملها بالاتهام ليدفع عنها الغرور والعجب، دون أن يخرجه ذلك إلى حد سوء الظن بالله، أو اليأس من رحمته؛ لأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، فلا ييأس الإنسان من روح الله، ولا يقنط من رحمته، لكن ليجتهد في الطاعات، ومع ذلك يتهم نفسه وعمله، ولا يدري أقبل عمله أم لم يقبل؟ مع ثقته في أن الله سبحانه وتعالى لن يضيع عمل عامل من المؤمنين أبدًا [5950] شرح العقيدة الطحاوية لسفر الحوالي

ومنهم من رأى الكراهة؛ قال الماوردي: منهم من كرهه لما فيه من اتهام طاعتها، ورد من اصحتها، فإن النفس وإن كان لها مكر يردي، فلها نصح يهدي. فلما كان حسن الظن بها يعمي عن مساوئها، كان سوء الظن بها يعمي عن محاسنها. ومن عمي عن محاسن نفسه كان كمن عمي عن مساوئها، فلم ينف عنها قبيحًا، ولم يهد إليها حسنًا. وقال الأحنف بن قيس: من ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ومن هدم دينه كان لمجده أهدم [ أدب الدنيا والدين 1/234-235

- ومنهم من قال بالموازنة بين سوء الظن وحسن الظن. ينبغي على المرء أن - يكون في التهمة لنفسه معتدلًا، وفي حسن الظن بها مقتصدًا، فإنه إن تجاوز مقدار الحق في التهمة لنفسه ظلمها؛ فأودعها ذلة المظلومين، وإن تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها آمنها؛ فأودعها تهاون الآمنين. ولكل ذلك مقدار من الشغل، ولكل شغل مقدار من الوهن، ولكل وهن مقدار من الجهل البيان والتبيين للجاحظ1/95-96

القسم الثاني: سوء الظن الذي لا يؤاخذ به صاحبه:

وضابطه: هو الخواطر الطارئة غير المستقرة التي يجاهدها صاحبها، ولا يسعى للتحقق منها.

قال النووي: الخواطر وحديث النفس إذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه فمعفو عنه باتفاق العلماء، لأنه لا اختيار له في وقوعه، ولا طريق له إلى الانفكاك عنه، وهذا هو المراد بما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل. قال العلماء: المراد به الخواطر التي لا تستقر، قالوا: وسواء كان ذلك الخاطر غيبة أو كفرًا أو غيره، فمن خطر له الكفر مجرد خطر من غير تعمد لتحصيله، ثم صرفه في الحال، فليس بكافر، ولا شيء عليه. وسبب العفو ما ذكرناه من تعذر اجتنابه، وإنما الممكن اجتناب الاستمرار عليه، فلهذا كان الاستمرار وعقد القلب حرامًا، ومهما عرض لك هذا الخاطر بالغيبة وغيرها من المعاصي، وجب عليك دفعه بالإعراض عنه، وذكر التأويلات الصارفة له عن ظاهره الأذكار 1/345، إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي3/150

**التجسس:**

**معنى التجسس لغةً:**

مأخوذ من الجس: وهو جس الخبر، ومعناه: بحث عنه وفحص، وتجسست فلانًا ومن فلان: بحثت عنه، والتجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، والجاسوس: العين يتجسس الأخبار ثم يأتي بها، وهو صاحب سر الشر، والناموس صاحب سر الخير انظر: تهذيب اللغة للأزهري10/242، ولسان العرب لابن منظور 6/38، وتاج العروس للزبيدي15/499

**معنى التجسس اصطلاحًا:**

التجسس: البحث عن العورات والمعايب، وكشف ما ستره الناس التفسير المنير للزحيلي26 /247

قال أبو هلال العسكري: الفرق بين التحسس والتجسس: التحسس - بالحاء المهملة -: طلب الشيء بالحاسة، والتجسس - بالجيم - مثله. وفي الحديث: لا تحسسوا، ولا تجسسوا رواه البخاري6064، ومسلم2563 قيل: معناهما واحد، وعطف أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظين كقول الشاعر:

متى أدن منه ينأ عني ويبعد

وقيل: التجسس -بالجيم- البحث عن عورات النساء،-وبالحاء- الاستماع لحديث القوم، ويروى أن ابن عباس سئل عن الفرق بينهما فقال: لا يبعد أحدهما عن الآخر: التحسس في الخير، والتجسس في الشر ذكره أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية ص 118 قلت: ويؤيده قوله تعالى حكاية عن يعقوب: يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف [يوسف: 87]- بالحاء - على القراءة المشهورة، فإنه كان متوقعًا لأن يأتيه الخبر بسلامة يوسف. وقوله سبحانه: ولا تجسسوا [الحجرات: 12] - بالجيم - فإن المنهي عنه البحث عن معايب الناس وأسرارهم التي لا يرضون بإفشائها، واطلاع الغير عليها الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري117-118

وقال بعضهم: التحسس بالحاء أن تستمع الأخبار بنفسك، وبالجيم أن تتفحص عنها بغيرك تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين لابن النحاس ص 45

وقال الترمذي الحكيم: التحسس- يعني بالحاء- هو طلب أخباره والفتش عنه؛ شفقة ونصحًا واحتياطًا؛ فتطيب نفسه لطيب أخباره، وحسن حاله، أو ليرفده إن كان في أمره خلل بنصح واحتياط ومعونة، والتجسس أن تفتش عن أخبار مغطية مكروهة أن تعلم بها، فتستخرجها بفتشك لهتك الستور، والكشف عن العورات والمساوئ تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين لابن النحاس ص 46

وقال ابن حبيب: بالحاء أن تسمع ما يقول أخوك فيك، وبالجيم أن ترسل من يسأل لك عما يقال لك في أخيك من السوء عمدة القاري للعيني20/ 133

نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن التجسس في آية محكمة وصريحة تدل على حرمة هذا الفعل المشين، والخصلة المذمومة، فقال تبارك وتعالى: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضًا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم [الحجرات: 12].

قال ابن جرير وهو يتحدث عن تفسير قوله: ولا تجسسوا يقول: ولا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فاحمدوا أو ذموا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره ثم ذكر أثر ابن عباس: نهى الله المؤمن من أن يتتبع عورات المؤمن رواه الطبري في تفسيره 304/ 22

وقال البغوي: نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم؛ حتى لا يظهر على ما ستره الله منها تفسير البغوي 7/ 345

- ومن ذلك قول الله تعالى: والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا [الأحزاب: 58].

وأي إيذاء أكبر من تتبع عورات الناس، والبحث عن سوءاتهم، والتجسس عليهم، وإظهار ما ستره الله من ذنوبهم.

قال ابن عثيمين: التجسس أذية، يتأذى به المتجسس عليه، ويؤدي إلى البغضاء والعداوة ويؤدي إلى تكليف الإنسان نفسه ما لم يلزمه، فإنك تجد المتجسس والعياذ بالله، مرة هنا ومرة هنا، ومرة هنا، ومرة ينظر إلى هذا ومرة ينظر إلى هذا، فقد أتعب نفسه في أذية عباد الله شرح رياض الصالحين 6/ 251 – 252

- وقال تعالى وهو يتحدث عن المنافقين وعن صفاتهم: لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالًا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين [التوبة: 47].

قال مجاهد: معناه وفيكم محبون لهم، يؤدون إليهم ما يسمعون منكم، وهم الجواسيس تفسير البغوي 4/ 56

وقال القرطبي: وفيكم سماعون لهم أي: عيون لهم، ينقلون إليهم الأخبار منكم الجامع لأحكام القرآن 8/ 157

لقد شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهي عن التجسس وال تحذير منه، وبين أنه مفسد للأخوة، وسبب في تقطيع الأواصر والصلات، وسبيل إلى إفساد الناس:

- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا رواه البخاري 6064، ومسلم2563

- وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من ا تبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته [رواه أبو داود4880، وأحمد4 /420 19791، وأبو يعلى13 /419 7423، والبيهقي10/247

20953. والحديث سكت عنه أبو داود، وجو إسناده العراقي في تخريج الإحياء 3/175، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 8/96: رجاله ثقات، وقال الألباني في4880: حسن صحيح

قوله: يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه. فيه تنبيه على أن غيبة المسلم من شعار المنافق لا المؤمن.

ولا تتبعوا عوراتهم؛ أي: لا تجسسوا عيوبهم ومساويهم. يتبع الله عورته. ذكره على سبيل المشاكلة، أي: يكشف عيوبه، وهذا في الآخرة. وقيل: معناه يجازيه بسوء صنيعه. يفضحه. أي: يكشف مساويه. في بيته. أي: ولو كان في بيته مخفيًا من الناس [4725] عون المعبود للعظيم آبادي9/ 2160

- وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم. فقال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله تعالى بها رواه أبو داود4880، وأبو يعلى13/382 7389، وابن حبان13/72 5760، والطبراني19/379 16560، والبيهقي في شعب الإيمان 7 /107 9659. والحديث سكت عنه أبو داود، وصححه النووي في رياض الصالحين 508، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود 4880

- وفي رواية أخرى عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعرضوا عن الناس، ألم تر أنك إن ابتغيت الريبة في الناس أفسدتهم، أو كدت تفسدهم رواه البخاري في الأدب المفرد 248، والطبراني19 /365 859. قال الألباني في صحيح الأدب المفرد 186: صحيح

قال المناوي: أي ولوا عن الناس، ولا تتبعوا أحوالهم، ولا تبحثوا عن عوراتهم. ألم تعلم أنك إن اتبعت التهمة فيهم لتعلمها وتظهرها؛ أوقعتهم في الفساد، أو قاربت أن تفسدهم؛ لوقوع بعضهم في بعض بنحو غيبة، أو لحصول تهمة لا أصل لها، أو هتك عرض ذوي الهيئات المأمور بإقالة عثراتهم، وقد يترتب على التفتيش من المفاسد ما يربو على تلك المفسدة التي يراد إزالتها، والحاصل أن الشارع ناظر إلى الستر مهما أمكن، والخطاب لولاة الأمور ومن في معناهم فيض القدير بتصرف يسير1 /713

- وعن ابن عباس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، أو يفرون منه، صب في أذنه الآنك يوم القيامة رواه البخاري7042

- وعن جبير بن نفير وكثير بن مرة، وعمرو بن الأسود، والمقدام بن معد يكرب، وأبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم [4730] رواه أبو داود4889، وأحمد6/4 23866، والطبراني8 /108 7516، والحاكم4/419، والبيهقي8 /333 17402. والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الهيثمي في الزوائد 5/218: رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات، وصححه لغيره الألباني في صحيح سنن أبي داود

يقول المناوي: إن الأمير إذا ابتغى الريبة. أي: طلب الريبة، أي: التهمة في الناس بنية فضائحهم. أفسدهم. وما أمهلهم، وجاهرهم بسوء الظن فيها، فيؤديهم ذلك إلى ارتكاب ما ظن بهم ورموا به ففسدوا، ومقصود الحديث حث الإمام على

التغافل، وعدم تتبع العورات، فإن بذلك يقوم النظام، ويحصل الانتظام، والإنسان قل ما يسلم من عيبه، فلو عاملهم بكل ما قالوه أو فعلوه اشتدت عليهم الأوجاع، واتسع المجال، بل يستر عيوبهم، ويتغافل، ويصفح، ولا يتبع عوراتهم، ولا يتجسس عليهم [4731] فيض القدير 2/ 409

- عن ابن عباس في قوله: ولا تجسسوا قال: نهى الله المؤمن أن يتبع عورات أخيه المؤمن [4732] رواه ابن أبي حاتم في تفسيره 10 /3250

- وأتي ابن مسعود رضي الله عنه فقيل: هذا فلان تقطر لحيته خمرًا. فقال عبد الله: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به [4733] رواه ابن أبي شيبة في المصنف 9 /86، أبو داود4890، والبيهقي8/334 18081. والحديث سكت عنه أبو داود، وقال النووي في رياض الصالحين 508: إسناده على شرط الشيخين، وقال الزيلعي في تخريج الكشاف 3 /347: له طريق آخر، وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود

- وقال مجاهد في قوله: ولا تجسسوا، قال: خذوا ما ظهر لكم، ودعوا ما ستر الله [4734] جامع البيان للطبري 304/ 22

- وقال قتادة في تفسيرها: هل تدرون ما التجسس أو التجسيس؟! هو أن تتبع، أو تبتغي عيب أخيك لتطلع على سره [4735] جامع البيان للطبري22/304

- وقال ابن زيد في تفسيرها أيضًا: قال: حتى أنظر في ذلك وأسأل عنه، حتى أعرف حق هو، أم باطل؟ قال: فسماه الله تجسسًا، قال: يتجسس كما يتجسس الكلاب [4736] جامع البيان للطبري22 /305

- وقال الحسن: لا تسأل عن عمل أخيك الحسن والسيئ، فإنه من التجسس [4737] روضة العقلاء 1/125

- وقال أبو حاتم: الواجب على العاقل مباينة العوام في الأخلاق والأفعال، بلزوم ترك التجسس عن عيوب الناس؛ لأن من بحث عن مكنون غيره بحث عن مكنون نفسه، وربما طم مكنونه على ما بحث من مكنون غيره، وكيف يستحسن مسلم ثلب مسلم بالشيء الذي هو فيه [4738] روضة العقلاء 1 /128

- وقال أيضًا: التجسس من شعب النفاق، كما أن حسن الظن من شعب الإيمان [4739]روضة العقلاء 1 /126

- وقال: الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه، فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه، ولم يتعب قلبه [4740] روضة العقلاء 1 /125

الأصل في التجسس أنه محرم شرعًا، منهي عنه، غير أن هناك بعض الصور قد تقتضي المصلحة جوازها.

وعليه فيمكننا أن نقسم التجسس إلى قسمين:

**تجسس ممنوع:**

ويقصد به تتبع عورات الناس وأسرارهم، والكشف عن معائبهم؛ بدافع الفضول وإشباع غريزة حب الاستطلاع، دون أن يكون له غرض مباح؛ من جلب منفعة راجحة، أو دفع مفسدة متوقعة، سواء أكان ذلك بالتطلع، أو التنصت والاستماع [4741] عقوبة الإعدام دراسة فقهية مقارنة لأحكام العقوبة بالقتل في الفقه الإسلامي لمحمد بن سعد الغامدي ص 470

وهذا النوع من أنواع التجسس هو الذي نصت الأدلة الواضحة على تحريمه، ولم يبح إلا في حالات خاصة، فـإن الأصل في المسلم الطهارة، والعفة، والبراءة، والسلامة من كل شيء مشين، ولذا كان الأصل في الإسلام النهي عن التجسس بجميع صوره وأشكاله، سواء كان تجسس الفرد على الفرد، أو الفرد على الدولة، أو الدولة على الدولة؛ لأن التجسس انتهاك لحرمة المسلم، وكشف ستره، وقد يسبب الحقد والبغض بين أفراد المجتمع المسلم، وهذا الذي يرفضه الإسلام جملة وتفصيلًا [4742] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة لعبدالعزيز المسعود ص 238

**تجسس مشروع:**

وأما النوع الثاني من أنواع التجسس، وهو التجسس المشروع، فـيراد به كل تجسس يهدف إلى مصلحة الدولة الإسلامية في تعاملها مع أعدائها، أو تطهيره المجتمعات من أهل الشر والفساد، وملاحقتهم والتضييق عليهم.

وهذا القسم من أقسام التجسس يتفاوت حكمه التكليفي من الوجوب إلى الإباحة، حسب ما تقتضيه المصلحة والضرورة، فهناك ما هو تجسس واجب: وهو ما يكون طريقًا إلى إنقاذ نفس من الهلاك، أو القضاء على الفساد الظاهر؛ كاستدراك فوات حرمة من حرمات الله. ووجه وجوبه أن ذلك من ضمن وسيلة النهي عن المنكر [4743] أحكام السماع والاستماع في الشريعة الإسلامية لمحمد معين الدين بصري ص 353 وهناك ما هو تجسس مباح، وهو ما عدا ذلك من الصور التي استثناها الشرع من التحريم، ولا تصل إلى درجة الوجوب، كالتجسس على الأعداء لمعرفة عددهم وعتادهم وغيرها [4744] انظر: أحكام السماع والاستماع في الشريعة الإسلامية لمحمد معين الدين بصري ص 353

1- أن التجسس مظهر من مظاهر سوء الظن، وأثر من آثاره، فهو متولد عن صفة مذمومة سيئة نهى عنها الدين الحنيف.

وذلك لأن الظن يبعث عليه حين تدعو الظان نفسه إلى تحقيق ما ظنه سرًا، فيسلك طريق التجسس [4745] التحرير والتنوير لابن عاشور26/ 253

2- والتجسس صورة من صور ضعف الإيمان، وضعف التدين، وقلة المراقبة، هذا على الجانب الديني؛ أما الأخلاقي والسلوكي، فهو يدل على دناءة النفس وخستها، وضعف همتها، وانشغالها بالتافه من الأمور عن معاليها وغاياتها.

3- وهو سبيل إلى قطع الصلات، وتقويض العلاقات، وظهور العداء بين الأحبة، وبث الفرقة بين الإخوان، فقد يرى المتجسس من المتجسس عليه ما يسوءه، فتنشأ عنه العداوة والحقد. ويدخل صدره الحرج والتخوف؛ بعد أن كانت ضمائره خالصة طيبة، وذلك من نكد العيش [4746] التحرير والتنوير لابن عاشور26/ 254

4- وبالتجسس تنهار القدوات، وتصغر في الأعين القامات، وعندها تهون الذنوب وتحقر السيئات، وتفسير ذلك أن المتجسس عليه إذا كان في منزل القدوة؛ واطلع منه على أمر سيئ، أو ذنب، أو معصية فإنه لا شك سيقل قدره، وستتلاشى مكانته، ولن يقبل منه نصحًا ولا توجيهًا، بل ربما تهون المعصية التي عملها على المتجسس فيعملها؛ بحجة أن ليس أحسن حالًا من فلان القدوة الذي تلبس بها.

5- والتجسس يؤدي إلى فساد الحياة؛ فتصبح مليئة بالشكوك والتخوفات، فلا يأمن الإنسان على خصوصياته من أن تنكشف أو تظهر للناس، بل يعيش المرء في حالة من الشك الذي لا ينتهي، وهذا تصديق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه قال: إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم [4747] تقدم تخريجه

6- والتجسس يؤدي إلى الكراهية، ويدفع إلى الانتقام، فإذا علم شخص ما أن فلان يتجسس عليه، ويريد أن يهتك ستره، ويفضح أمره سعى هو من جانبه إلى التجسس عليه، وفضحه وهكذا.

يقول ابن عاشور: فـ إن اطلع المتجسس عليه على تجسس الآخر ساءه؛ فنشأ في نفسه كره له، وانثلمت الأخوة.، ثم يبعث ذلك على انتقام كليهما من أخيه [4748] التحرير والتنوير لابن عاشور26 /254

7- كما أنه سبيل إلى إشاعة الفاحشة بين المسلمين، وانتشار السوء بينهم، وذلك بما يحصل من نشر لما استتر من الفضائح، وإظهار لما خفي من السوءات.

8- وهو دليل بين واضح على سوء الطوية، وعن نفاق يعشش في القلب، وأن صاحبه بعيد عن الإيمان وإن ادعاه، مجانب للتقوى وإن تزيا بلباسها، لذا كان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن هذه صفته بقوله: يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه

9- أن صاحبه متوعد بالفضيحة وكشف العورة حتى ولو كان في قعر داره، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته.

10- ويكفي التجسس سوءًا أن صاحبه يعرض نفسه لغضب الله، واستح قاق العذاب الأليم، هذا في الآخرة، أما في الدنيا فيبقى مكروهًا مبغوضًا من الناس؛ فهو دائمًا في محل ريبة، لا يأنسون به، ولا يرتاحون بحضوره.

صور التجسس الممنوع:

- التجسس على بيوت المسلمين والاطلاع على عوراتهم بالاستماع من وراء الأبواب، أو بالدخول في البيوت على حين غفلة من أهلها، أو باستئذان لغرض كاذب، كشرب الماء والمقصود غير ذلك. وكل ذلك لا يجوز في شرع الإسلام

[4749] المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية لعبد الكريم زيدان4 /207

- ومن صوره أيضًا اقتحام البيوت، والخلوات بحجة ضبط من فيها متلبسين بالمعصية، ولا شك أن هذا مما لا يبيحه الشرع ولا يقبله.

- ومن صور التجسس الممنوع التقصي والبحث عن معاص وسيئات اقترفت في الماضي، والتجسس على أصحابها لمعرفتها.

قال السفاريني: ويحرم تجسيس على ما يفسق به في الزمن الماضي، أو الفسق الماضي مثل أن يشرب الخمر في الزمن الذي مضى، وتبحث عنه أنت بعد مدة؛ لأن ذلك إشاعة للمنكر بما لا فائدة فيه، ولا عود على الإسلام، وإنما هو عيب ونقص، فينبغي كفه ونسيانه دون إذاعته وإعلانه، وإنما يحرم التجسس عن ذلك إن لم يجدد العود عليه، والإتيان به ثانيًا.

فإن عاوده فلا حرمة إذن.

قال في الرعاية: ويحرم التعرض لمنكر فعل خفية على الأشهر، أو ماض، أو بعيد، وقيل يجهل فاعله ومحله. وقال أيضًا:

لا إنكار فيما مضى وفات إلا في العقائد أو الآراء [4750] غذاء الألباب 1 /263

- ومن صور التجسس الممنوع استماع المرء إلى حديث قوم، وهم له كارهون، فقد توعد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه سيصب في أذنه الآنك يوم القيامة بسبب فعلته. فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، أو يفرون منه، صب في أذنه الآنك يوم القيامة [4751] رواه البخاري 7042

ومن هذا الحديث يعلم أن الاستماع لحديث الآخرين بغير رضاهم وإذنهم هو من التجسس المحرم الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وحذر منه، وكفى بترتيب العقوبة المذكورة في الحديث على من يفعل هذا دليلًا على حرمته [4752] بهجة الأسماع في أحكام السماع في الفقه الإسلامي لعلي بن ذريان ص 364

ويدخل في هذه الصورة من صور التجسس التنصت على هواتف الناس ومكالماتهم، وهو يتضمن معنى تسمع حديث قوم أو التجسس عليهم، فيكون حكم المسألة هو حكم التجسس. أو يكون حكمه حكم التسمع إلى حديث قوم وهم كارهون؛ لأن العادة أن الناس لا يريدون أن يطلع على مكالمتهم أحد، والذي يتنصت على هواتف الناس بهذا المعنى يدخل تحت الوعيد [4753] أحكام السماع والاستماع في الشريعة الإسلامية لمحمد معين الدين بصري ص 357

- ومن صور التجسس الممنوع التجسس على الكافر المسالم، خاصة إذا لم يظهر منه ما يدعو للريبة، قال تعالى: لا ينهاكم

الل عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسط وا إليهم إن الله يحب المقسطين [الممتحنة: 8]

[4754] انظر: أحكام السماع والاستماع في الشريعة الإسلامية لمحمد معين الدين بصري ص 357

- ومن أبشع صور التجسس وأقبحها التجسس على المسلمين لصالح أعداء الدين فإذا كان التجسس للوقوف على عورات الأفراد ومعائبهم أمًرا محرمًا، فإن التجسس على الأمة الإسلامية لحساب أعدائها أشد حرمة، وأعظم خطرًا وضررًا على البلاد، والعباد، وخيانة لله ورسوله وللأمة، وقد تحدث الفقهاء رحمهم الله تعالى على عقوبة من يقوم بهذا العمل الخطير، الذي يعرض الأمة الإسلامية بأكملها لأضرار فادحة، قد يستمر أثرها لأمد بعيد، محطمًا كافة النواحي السياسية

والاقتصادية، والاجتماعية للدولة الإسلامية [4755] عقوبة الإعدام دراسة فقهية مقارنة لأحكام العقوبة بالقتل في الفقه الإسلامي لمحمد بن سعد الغامدي ص 472

قال عبد القادر العاني: ومن أكبر الكبائر وأفظعها التجسس على المسلمين، وإفشاء أسرارهم الحربية إلى أعدائهم، أو إلى من يوصل إليهم [4756] بيان المعاني 6/ 226

وإذ قد اعتبر النهي عن التجسس من فروع النهي عن الظن، فهو مقيد بالتجسس الذي هو إثم، أو يفضي إلى الإثم، وإذا علم أنه يترتب عليه مفسدة عامة؛ صار التجسس كبيرة. ومنه التجسس على المسلمين لمن يبتغي الضر بهم . [4757] التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور26/ 254

**صور التجسس المشروع:**

- من صور التجسس المشروع التجسس على أعداء الأمة لمعرفة عددهم وعتادهم فقد اتفق الفقهاء على أن التجسس والتنصت على الكفار في الحرب مشروع وجائز لمعرفة عددهم، وعتادهم، وما يخططون له، ويدبرون من المكائد للمسلمين، وهو الأمر الذي يكون بعلم الإمام، وتحت نظره ومعرفته [4758] بهجة الأسماع في أحكام السماع في الفقه الإسلامي لعلي بن ذريان ص 376

فالتجسس على أعداء الأمة الإسلامية بتتبع أخبارهم، والاطلاع على مخططاتهم التي يعدونها للقضاء على الأمة الإسلامية، وإثارة الفتنة والقلاقل بين صفوفها، وزعزعة أمنها واستقرارها أمر مشروع، بل قد يكون واجبًا في حالة قيام حرب بينهم وبين المسلمين، وقد دل على مشروعيته الكتاب والسنة وعمل الصحابة:

فمن الكتاب: عموم قول الله تعالى: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به ع دو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تع لمونهم الله يعلمهم [الأنفال: 60].

فقد أمرت الآية المسلمين بإعداد ما يستطيعون من قوة لمواجهة الأعداء، ومن أسباب القوة التخطيط السليم، واليقظة والحذر، والتأهب الدائم؛ لإحباط مخططات الأعداء، ولا شك أن ذلك لا يتم إلا بمعرفة أخبار الأعداء وخططهم، ورصد تحركاتهم، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فدلت الآية على مشروعية التجسس على الأعداء بكل وسيلة شريفة، وطريقة نبيلة.

**ومن السنة أحاديث كثيرة، منها:**

- عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا.

ثم قال: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا، ثم قال: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا. ثم قال: إن لكل نبي حواريًا، وإن حواري الزبير [4759] رواه البخاري4113

- وعن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، يزيد أحدهما على صاحبه قالا: خرج النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحليفة، قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة، وبعث عينًا له من خزاعة، وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه، قال: إن قريشًا جمعوا لك جموعًا، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت، ومانعوك. فقال: أشيروا أيها الناس علي، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينًا من المشركين، وإلا تركناهم محروبين، قال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامدًا لهذا البيت، لا تريد قتل أحد، ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه. قال: امضوا على اسم الله [4760] رواه البخاري4178

فهذه الأحاديث جميعها تدل على مشروعية جمع المعلومات عن الأعداء، وكشف مخططاتهم، وذلك بالطرق المشروعة والوسائل الشريفة، وأنه عليه الصلاة والسلام كان يتخير لهذه المهمة الأشخاص الذين كان يثق بهم حرصًا منه على صحة المعلومات التي تصله، ودقتها، لكي يبني عليها خططه العسكرية في مواجهة الأعداء [4761] عقوبة الإعدام دراسة فقهية مقارنة لأحكام العقوبة بالقتل في الفقه الإسلامي لمحمد بن سعد الغامدي465-467

- ومن صور التجسس المشروع تتبع المجرمين الخطرين وأهل الريب، وقد عده بعض الفقهاء من التجسس المشروع إذا كانت جرائمهم ذات خطر كبير على الأفراد، أو على الأمة بأسرها، وغلب على الظن وقوعها بأمارات وعلامات ظاهرة، وذلك كالتجسس على إنسان يغلب على الظن أنه يتربص بآخر ليقتله، أو بامرأة أجنبية ليزني بها، بل قد يكون واجبًا إذا خيف فوات تدارك الجريمة بدون التجسس.

قال الرملي: وليس لأحد البحث والتجسس، واقتحام الدور بالظنون، نعم إذا غلب على ظنه وقوع معصية ولو بقرينة ظاهرة، كإخبار ثقة جاز له، بل وجب عليه التجسس إن فات تداركها كقتل وزنى، وإلا فلا [4762] نهاية المحتاج 4/ 49-47

وذكر القاضي أبو يعلى جوازه في حالة ما إذا كان في تركه انتهاك حرمة يفوت استدراكها، مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلًا خلا برجل ليقتله، أو بامرأة ليزني بها، فيجوز له في مثل هذه الحال أن يتجسس، ويقدم على الكشف والبحث، حذرًا من فوات ما لا يستدرك، من انتهاك المحارم، وارتكاب المحظورات [4763] الأحكام السلطانية للماوردي ص 366

- ومن صور التجسس المشروع تفقد الوالي لأحوال رعيته لمعرفة المظلومين والمحتاجين، وتأمين احتياجاتهم؛ إذ هم أمانة في عنق الوالي [4764] عقوبة الإعدام دراسة فقهية مقارنة لأحكام العقوبة بالقتل في الفقه الإسلامي لمحمد بن سعد الغامدي ص 469

**ومن أمثلة ذلك:**

- ما روي عن أسلم رضي الله عنه قال: خر جت ليلة مع عمر إلى حرة واقم، حتى إذا كنا بصرار إذا بنار، فقال: يا أسلم، هاهنا ركب قد قصر بهم الليل، انطلق بنا إليهم. فأتيناهم فإذا امرأة معها صبيان لها، وقدر منصوبة على النار، وصبيانها يتضاغون، فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء. قالت: وعليك السلام، قال: أدنو؟ قالت: ادن أو دع. فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد. قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: من الجوع. فقال: وأي شيء على النار؟ قالت: ماء أعللهم به حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر. فبكى عمر، ورجع يهرول إلى دار الدقيق، فأخرج عدلًا من دق يق، وجراب شحم، وقال: يا أسلم، احمله على ظهري، فقلت: أنا أحمله عنك. فقال: أنت تحمل وزري يوم القيامة؟ فحمله على ظهره، وانطلقنا إلى المرأة فألقي عن ظهره، وأخرج من الدقيق في القدر، وألقى عليه من الشحم، وجعل ينفخ تحت القدر، والدخان يتخلل لحيته ساعة، ثم أنزلها عن النار وقال: آتيني بصحفة. فأتي بها فغرفها ثم تركها بين يدي الصبيان وقال:

كلوا، فأكلوا حتى شبعوا - والمرأة تدعو له، وهي لا تعرفه - فلم يزل عندهم حتى نام الصغار، ثم أوصلهم بنفقة وانصرف، ثم أقبل علي فقال: يا أسلم، الجوع الذي أسهرهم، وأبكاهم [4765] البداية والنهاية لابن كثير7 / 153- 154

- وقدم المدينة رفقة من تجار، فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن تحرسهم الليلة؟ قال: نعم! فباتا يحرسانهم ويصليان، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه، فقال لأمه: اتق الله تعالى وأحسني إلى صبيك. ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه، فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي، فأتى إلى أمه فقال لها:

ويحك، إنك أم سوء، ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء؟! فقالت: يا عبد الله، إني أشغله عن الطعام فيأبى ذلك، قال:

ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم. قال: وكم عمر ابنك هذا؟ قالت: كذا وكذا شهرًا، فقال: ويحك لا تعجليه عن الفطام. فلما صلى الصبح، وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء. قال: بؤسًا لعمر. كم قتل من أولاد المسلمين. ثم أمر مناديه فنادى، لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام. وكتب بذلك إلى الآفاق[ 4766] ذكره ابن كثير في البداية والنهاية 7/153

**قال الشاعر:**

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا

فيهتك الناس سترًا من مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكرو ا

ولا تعب أحدًا عيبًا بما فيكا

**وقال آخر:**

يخرج أسرار الفتى جليسه

رب امرئ جاسوسه أنيسه

**وشكا بعض الملوك تنقيب العوام عن أسرار الملوك فقال:**

ما يريد الناس منا ما ينام الناس عنا

لو سكنا باطن الأرض لكانوا حيث كنا

إنما همهم أن ينشروا ما قد دفنَّا

**الغيبة:**

**معنى الغيبة لغةً:**

الغيبة: الوقيعة في الناس؛ لأنها لا تقال إلا في غيبة، يقال: اغتابه اغتيابًا إذا وقع فيه وذكره بما يكره من العيوب وهو حق، والاسم الغيبة، وهي ذكر العيب بظهر الغيب، وغابه: عابه، وذكره بما فيه من السوء، كاغتابه [مقاييس اللغة لابن فارس4/403، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي16/335، القاموس المحيط للفيروزآبادي ص 121، المصباح المنير للفيومي2 /457]

**معنى الغيبة اصطلاحًا:**

قال ابن التين: الغيبة ذكر المرء بما يكرهه بظهر الغيب فتح الباري لابن حجر10/469

وعرفها الجوهري بقوله: أن يتكلم خلف إنسان مستور بما يغمه لو سمعه، فإن كان صدقًا سمي غيبةً، وإن كان كذبًا س مي بهتانًا الصحاح في اللغة 1 /196

وقال المناوي: هي ذكر العيب بظهر الغيب بلفظ، أو إشارة، أو محاكاة؛ فيض القدير 3/166

**- الفرق بين الغيبة والإفك والبهتان:**

قال الحسن: الغيبة ثلاثة أوجه -كلها في كتاب الله تعالى-: الغيبة، والإفك، والبهتان. فأما الغيبة، فهو أن تقول في أخيك ما هو فيه.

وأما الإفك، فأن تقول فيه ما بلغك عنه.

وأما البهتان، فأن تقول فيه ما ليس فيه الجامع لأحكام القرآن للقرطبي16 /335

وقال الجرجاني: الغيبة ذكر مساوئ الإنسان التي فيه في غيبة.

والبهتان ذكر مساوئ الإنسان، وهي ليست فيه التعريفات ص 210

**- الفرق بين الغيبة والنميمة والغمز واللمز:**

الغيبة: ذكر الإنسان بما يكره لما فيها من مفسدة الأعراض.

والنميمة: أن ينقل إليه عن غيره أنه يتعرض لأذاه؛ لما فيها من مفسدة إلقاء البغضاء بين الناس، ويستثنى منها أن فلانًا يقصد قتلك في موضع كذا، أو يأخذ مالك في وقت كذا، ونحو ذلك، لأنه من ال نصيحة الواجبة كما تقدم في الغيبة.

والغمز: أن تعيب الإنسان بحضوره.

واللمز: بغيبته وقيل بالعكس؛ الذخيرة للقرافي ص 241

- قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا و لا يغتب بعضكم بعضًا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم [الحجرات:12].

قال الشوكاني: فهذا نهي قرآني عن الغيبة، مع إيراد مثل لذلك، يزيده شدة وتغليظًا، ويوقع في النفوس من الكراهة والاستقذار لما فيه ما لا يقادر قدره، فإن أكل لحم الإنسان من أعظم ما يستقذره بنو آدم جبلةً وطبعًا، ولو كان كافرًا أو عدوًا مكافحًا، فكيف إذا كان أخًا في النسب، أو في الدين؟! فإن الكراهة تتضاعف بذلك، ويزداد الاستقذار فكيف إذا كان م يتًا؟! فإن لحم ما يستطاب ويحل أكله يصير مستقذرًا بالموت، لا يشتهيه الطبع، ولا تقبله النفس، وبهذا يعرف ما في هذه الآية من المبالغة في تحريم الغيبة، بعد النهي الصريح عن ذلك الفتح الرباني 11/5567-5568

- وقال تعالى: ويل لكل همزة لمز ة [الهمزة: 1].

قال مقاتل بن سليمان: ويل لكل همزة يعني الطعان المغتاب الذي إذا غاب عنه الرجل اغتابه من خلفه تفسير مقاتل بن سليمان 4 /837

وقال قتادة: يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس، ويطعن عليهم تفسير القرآن العظيم لابن كثير

481/8

- وقال تعالى: ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولـئك كان عنه م سؤولًا [الإسراء: 36].

- قال الرازي: القفو هو البهت، وأصله من القفا، كأنه قول يقال خلفه، وهو في معنى الغيبة وهو ذكر الرجل في غيبته بما يسوءه مفاتيح الغيب 20 /339.

- عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته رواه مسلم 2589

قال الغزالي: اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم؛ لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام إحياء علوم الدين 3 /144

- وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين، فقال: إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أما أحدهما: فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر: فكان لا يستتر من بوله، قال: ثم أخذ عودًا رطبًا، فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: لعله يخفف عنهما مالم ييبسا رواه البخاري 6052، ومسلم292

قال العيني: الترجمة مشتملة على شيئين: الغيبة والنميمة، ومطابقة الحديث للبول ظاهرة، وأما الغيبة فليس لها ذكر في الحديث، ولكن يوجه بوجهين، أحدهما: أن الغيبة من لوازم النميمة؛ لأن الذي ينم ينقل كلام الرجل الذي اغتابه، ويقال:

الغيبة والنميمة أختان، ومن نم عن أحد فقد اغتابه. قيل: لا يلزم من الوعيد على ال نميمة ثبوته على الغيبة وحدها، لأن مفسدة النميمة أعظم وإذا لم تساوها لم يصح الإلحاق. قلنا: لا يلزم من اللحاق وجود المساواة، والوعيد على الغيبة التي تضمنتها النميمة موجود، فيصح الإلحاق لهذا الوجه. الوجه الثاني: أنه وقع في بعض طرق هذا الحديث بلفظ الغيبة، وقد جرت عادة البخاري في الإشارة إلى ما ورد في بعض طرق الحديث عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني8 /208

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا، فقال صلى الله عليه وسلم:

لقد قلت كلمةً لو مزجت بماء البحر لمزجته رواه أبو داود4875، والترمذي2502، وأحمد6 /189 25601 قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه ابن دقيق العيد في الاقتراح 118، والشوكاني كما في الفتح الرباني 11 /5593، والألباني في صحيح سنن أبي داود 4875، والوادعي في الصحيح المسند 1615 وقال: على شرط الشيخين

قال المناوي: قال النووي: هذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة أو أعظمها، وما أعلم شيئًا من الأحاديث بلغ في ذمها هذا المبلغ فيض القدير 2/411

فإذا كانت هذه الكلمة بهذه المثابة، في مزج البحر، الذي هو من أعظم المخلوقات، فما بالك بغيبة أقوى منها دليل الفالحين لابن علان8/352

وقال ابن عثيمين: معنى مزجته: خالطته مخالطة يتغير بها طعمه، أو ريحه، لشدة نتنها، وقبحها، وهذا من أبلغ الزواجر عن الغيبة شرح رياض الصالحين 6 /126

- وعن أبي بكرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم النحر بمنى: إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت رواه البخاري 67، ومسلم 1679

قال النووي: المراد بذلك كله، بيان توكيد غلظ تحريم الأموال، والدماء، والأعراض، والتحذير من ذلك شرح النووي على مسلم 11 /169.

- قال ابن عباس رضي الله عنهما: اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به، ودع منه ما تحب أن يدع منك العقد الفريد لابن عبد ربه2 /335-336، بتصرف

- وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنه مر على بغل ميت، فقال لبعض أصحابه: لأن يأكل الرجل من هذا حتى يملأ بطنه، خير له من أن يأكل لحم رجل مسلم؛ الترغيب والترهيب للمنذري 3 /329

- وعن يحيى بن الحصين عن طارق قال: دار بين سعد بن أبي وقاص وبين خالد بن الوليد كلام، فذهب رجل ليقع في خالد عند سعد، فقال سعد: مه إن ما بيننا لم يبلغ ديننا. أي عداوة وشرعيون الأخبار للدينوري 2/16، بتصرف

- وقال محمد بن كعب القرظي: إذا أراد الله عز وجل بعبد خيرًا زهده في الدنيا، وفقهه في الدين، وبصره عيوبه. قال: ثم التفت الفضيل إلينا، فقال: ربما قال الرجل: لا إله إلا الله؛ فأخشى عليه النار. قيل: وكيف ذاك؟! قال: يغتاب بين يديه رجل، فيعجبه، فيقول: لا إله إلا الله، وليس هذا موضعها؛ إنما هذا موضع أن ينصح له في نفسه، ويقول له: اتق الله المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري6/86

- وعن محمد بن سيرين أنه قال: إن أكثر الناس خطايا أكثرهم ذكرًا لخطايا الناس المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري6 /86

- وعن الشعبي رحمه الله أن العباس بن عبد المطلب قال لابنه عبد الله: يا بني، أرى أمير المؤمنين يدنيك، فاحفظ مني خصالًا ثلاثًا: لا تغتب من له سر، ولا يسمعن منك كذبًا، ولا تغتابن عنده أحدًا مكارم الأخلاق للخرائطي 2/207

- ومر ابن سيرين بقوم، فقام إليه رجل منهم فقال: أبا بكر، إنا قد نلنا منك فحللنا. فقال: إني لا أحل لك ما حرم الله عليك.

فأما ما كان إلي فهو لكم المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري 3/54

- وقال الحسن: لا غيبة لثلاثة: فاسق مجاهر بالفسق، وذي بدعة، وإمام جائر.

- وعن يعلى بن عبيد قال: كنا عند سفيان بن سعيد الثوري، فأتانا رجل يقال له: أبو عبد الله السلال، فقال لسفيان: يا أبا عبد الله! الحديث الذي روي أن الله تبارك وتعالى يبغض أهل بيت اللحميين، أهم الذين يكثرون أكل اللحم؟ فقال سفيان: لا ولكنهم الذين يكثرون أكل لحوم الناس [6633] المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري4/24-25

- وقال بعض الحكماء: عاب رجل رجلًا عند بعض أهل العلم فقال له: قد استدللت على كثرة عيوبك بما تكثر من عيب الناس؛ لأن الطالب للعيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها [6634] المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري 54/3

- وقال الأصمعي: اغتاب رجل رجلًا عند قتيبة بن مسلم، فقال له قتيبة: أمسك أيها الرجل، فوالله لقد تلمظت [6635]

تلمظ إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه وأخرج لسانه فمسح به شفتيه. انظر: مختار الصحاح للرازي ص 285.

بمضغة طالما لفظها الكرام المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري 5/305

- وأتى رجل عمرو بن مرثد فسأله أن يكلم له أمير المؤمنين، فوعده أن يفعل، فلما قام قال بعض من حضر: إنه ليس مستحقًا لما وعدته. فقال عمرو: إن كنت صدقت في وصفك إياه فقد كذبت في ادعائك مودتنا؛ لأنه إن كان مستحقًا كانت اليد موضعها، وإن لم يكن مستحقًا، فما زدت على أن أعلمتنا أن لنا بمغيبنا عنك مثل الذي حضرت به من غاب من إخواننا المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري3 /56

- وقال أبو عاصم: ما اغتبت أحدًًا منذ علمت أن الغيبة تضر بأهلها التوبيخ والتنبيه لأبي الشيخ الأصبهاني ص 83، تاريخ دمشق لابن عساكر24 /363

- واغتاب رجل عند معروف الكرخي فقال له: اذكر القطن إذا وضع على عينيك سير أعلام النبلاء للذهبي 87/8

- وقال ابن الكواء للربيع بن خث يم: ما نراك تعيب أحدًًا ولا تذمه. فقال: ويلك يا بن الكواء ما أنا عن نفسي براض فأتفرغ من ذنبي إلى حديث الناس إن الناس خافوا الله على ذنوب الناس وأمنوه على نفوسهم بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم8 /3584

- وقال ابن المبارك: لو كنت مغتابًا أحدًا لاغتبت والدي لأنهما أحق بحسناتي شرح صحيح البخاري لابن بطال 245/9

- وعن الحسن البصري أن رجلًا قال له: إنك تغتابني، فقال: ما بلغ قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي الأذكار النووية ص340

- وعن ابن سيرين؛ أنه ذكر الغيبة فقال: ألم تر إلى جيفة خضراء منتنة؟ الزهد لوكيع بن الجراح ص 209

- وعن مجاهد في قوله تعالى: ويل لكل همزة لمزة [الهمزة: 1]. قال: الذي يأكل لحوم الناس، واللمزة: الطعان الزهد لوكيع بن الجراح ص 212

- واغتاب ابن جلا بعض إخوانه ف أرسل إليه يستحله فأبى قائلًا: ليس في صحيفتي حسنة أحسن منها، فكيف أمحوها!

- وقال الغزالي: الغيبة، هي الصاعقة المهلكة للطاعات، ومثل من يغتاب كمن ينصب منجنيقًا، فهو يرمي به حسناته شرقًا، وغربًا، ويمينًا، وشمالًا.

- وقد قيل للحسن: اغتابك فلان، فبعث إليه بطبق فيه رطب وقال: أهديت إلي بعض حسناتك، فأحببت مكافأتك فيض القدير للمناوي3/166

- وقيل: دعي إبراهيم بن أدهم إلى دعوة، فحضر، فذكروا رجلًا لم يأتهم، فقالوا: إنه ثقيل. فقال إبراهيم: إنما فعل بي هذا نفسي، حيث حضرت موضعًا يغتاب فيه الناس. فخرج، ولم يأكل ثلاثة أيام الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري ص 194

- وقيل: أوحى الله إلى موسى عليه السلام: من مات تائبًا من الغيبة، فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصرًا عليها، فهو أول من يدخل النار آفات اللسان لأبي حامد الغزالي ص 151

**اثار الغيبة**

إن للغيبة أضرار كثيرة في الدنيا والآخرة، وهذه الأضرار لها آثارها السلبية على الفرد والمجتمع، فلا بد من التنبيه عليها، والاطلاع على تبعاتها؛ كي نتجنبها ولا نقع فيها، ونحذر ارتكابها.

**أضرارها على الفرد:**

1- الغيبة تزيد في رصيد السيئات، وتنقص من رصيد الحسنات:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا، فقال صلى الله عليه وسلم: لقد قلت كلمةً لو مزجت بماء البحر لمزجته تقدم تخريجه

وهذا يدل على ما يلحق المغتاب من الإثم بسبب افتياته على خلق الله تعالى الذي حرم الغيبة، وفي نفس الوقت افتات على حق الإنسان الذي اغتابه إبراء الذمة من حقوق العباد لنوح علي سليمان604

2- الغيبة من أربى الربا:

قال الشوكاني: معصية الربا من أشد المعاصي؛ لأن المعصية التي تعدل معصية الزنا التي هي في غاية الفظاعة والشناعة بمقدار العدد المذكور بل أشد منها، لا شك أنها قد تجاوزت الحد في القبح وأقبح منها استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم، ولهذا جعلها الشارع أربى الربا، وبعد الرجل يتكلم بالكلمة التي لا يجد لها لذة ولا تزيد في ماله، ولا جاهه فيكون إثمه عند الله أشد من إثم من زنى ستًا وثلاثين زنية، هذا ما لا يصنعه بنفسه عاقل نيل الأوطار 5 /225

3- صاحب الغيبة مفلس يوم القيامة:

عن أبى هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار رواه مسلم2581

4- الغيبة تسبب هجر صاحبها:

قال ابن باز: الواجب عليك وعلى غيرك من المسلمين، عدم مجالسة من يغتاب المسلمين مع نصيحته والإنكار عليه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسا نه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان رواه مسلم49 من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فإن لم يمتثل فاترك مجالسته؛ لأن ذلك من تمام الإنكار عليه مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ص 402

5- الغيبة تجرح الصوم:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة، في أن يدع طعامه وشرابه رواه البخاري1903 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

وقال صلى الله عليه وسلم: الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم رواه البخاري1904، ومسلم1151

6- يتتبع الله عورة المغتاب ويفضحه في جوف بيته:

فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته رواه أبو داود4880، وأحمد4/420 19791، وأبو يعلى13 /419 7423، والبيهقي10 /247 20953. والحديث سكت عنه أبو داود، وجود إسناده العراقي في تخريج الإحياء 3/175، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 8/96: رجاله ثقات، وقال الألباني في4880: حسن صحيح.

7- عقوبة المغتاب النار.

8- لا يغفر لصاحب الغيبة حتى يعفو عنه الذي وقعت عليه الغيبة.

9- الغيبة تترك في نفس الفرد جوانب عدائية، بسبب ما تتركه على سمعته ومكانته.

10- الغيبة تظهر عيوب الفرد المستورة، في الوقت الذي لا يملك فيه الدفاع عن نفسه.

11- الغيبة تدل على دناءة صاحبها، وجبنه، وخسته.

**أضراره:**

1- كشف عورات الآخرين، ونشر عيوبهم والاستهانة بها.

2- الغيبة تؤدي إلى الغيبة، أي أن من اغتيب قد يدفعه غضبه إلى غيبة من اغتابه، وبهذا تنتشر هذه الصفة الذميمة وتصبح مرض عضال يصعب استئصاله.

3- نشر الحقد، والحسد، والكراهية، والبغضاء، بين أفراد المجتمع.

4- إفساد المودات، وقطع أواصر الأخوة الإيمانية، وملء القلوب بالضغائن والعداوات.

**من ذب عن أخيه:**

- عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ذب عن عرض أخيه بالغيبة، كان حقًا على الله أن يعتقه من النار رواه أحمد 6/461 27650، والطبراني في المعجم الكبير 24 /176، وأبو نعيم في حلية الأولياء 6 /67. وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب 3 /333، والهيثمي في مجمع الزوائد 8/95، وصححه الألباني في غاية المرام 431

- وعن القاسم بن عبد الرحمن الشامي قال: سمعت بن أم عبد يقول: من اغتيب عنده مؤمن فنصره، جزاه الله بها خيرًا في الدنيا والآخرة، ومن اغتيب عنده مؤمن فلم ينصره، جزاه الله بها في الدنيا والآخرة شرًا، وما التقم أحد لقمة شرًا من اغتياب مؤمن، إن قال فيه ما يعلم فقد اغتابه، وإن قال فيه بما لا يعلم فقد بهته الأدب المفرد للبخاري 320-321

**حكم الغيبة**

قال ابن كثير: والغيبة محرمة بالإجماع، ولا يستثنى من ذلك، إلا ما رجحت مصلحته، كما في الجرح والتعديل، والنصيحة تفسير القرآن العظيم 7 /380

واعتبر ابن حجر الهيتمي الغيبة من الكبائر حيث قال: الذي دلت عليه الدلائل الكثيرة الصحيحة الظاهرة، أنها كبيرة، لكنها تختلف عظمًا، وضده بحسب اختلاف مفسدتها. وقد جعلها من أوتي جوامع الكلم عديلة غصب المال، وقتل النفس، بقوله صلى الله عليه وسلم: كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه رواه مسلم 2564. والغصب والقتل كبيرتان إجماعًا، فكذا ثلم العرض الزواجر 2/555.

إن سماع الغيبة والاستماع إليها لا يجوز، فقائل الغيبة وسامعها في الإثم سواء.

ففي فتاوى اللجنة الدائمة إجابة عن سؤال حكم سماع الغيبة: سماع الغيبة محرم؛ لأنه إقرار للمنكر، والغيبة كبيرة من كبائر الذنوب، يجب إنكارها على من يفعلها؛ فتاوى اللجنة الدائمة 26/18.

وقال مولى لعمرو بن عتبة بن أبي سفيان: رآني عمرو بن عتبة وأنا مع رجل، وهو يقع في آخر، فقال: لي: ويلك - ولم يقلها لي قبلها ولا بعدها - نزه سمعك عن استماع الخنا، كما تنزه لسانك عن القول به؛ فإن المستمع شريك القائل، وإنما نظر إلى شر ما في وعائه فأفرغه في وعائك، ولو رددت كلمة سفيه في فيه لسعد بها رادها، كما شقي بها قائلها ذم الغيبة والنميمة لابن أبي الدنيا ص 163

وكان ميمون بن سياه لا يغتاب، ولا يدع أحدًًا يغتاب، ينهاه فإن انتهى، وإلا قام ذم الغيبة والنميمة لابن أبي الدنيا ص 164

**للغيبة ثلاثة أقسام:**

**1- الغيبة المحرمة:**

وهي ذكرك أخاك المسلم في غيبته بما يكره بعيب فيه مخفي، سواء كان هذا العيب خلقي أم خلقي، في دينه أو دنياه، ولا شك أنه محرم في الكتاب، والسنة، والإجماع، للأدلة الواردة سلفًا في هذا الباب.

قال ابن القيم -وهو يتحدث عن الغيبة-: وإذا وقعت على وجه ذم أخيك، وتمزيق عرضه، والتفكه بلحمه، والغض منه، لتضع منزلته من قلوب الناس، فهي الداء العضال، ونار الحسنات التي تأكلها كما تأكل النار الحطب؛ الروح ص240

**2- الغيبة الواجبة:**

هي الغيبة التي بها يحصل للفرد نجاة مما لا يحمد عقباه، أو مصيبة كانت محتملة الوقوع به، مثل التي تطلب للنصيحة عند الإقبال على الزواج لمعرفة حال الزوج، أو كأن يقول شخص لآخر محذرًا له من شخص شرير: إن فلان يريد قتلك في المكان الفلاني، أو يريد سرقة مالك في الساعة الفلانية، وهذا من باب النصيحة.

**3- الغيبة المباحة:**

كما أن الغيبة محرمة لما فيها من أضرار تمس الفرد، إلا أنها مباحة بضوابطها لغرض شرعي صحيح، لا يمكن الوصول لهذا الغرض إلا بهذه الغيبة، وبدون هذه الضوابط تصبح محرمة.

قال النووي: اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها وهو ستة أبواب:

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما مما له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان كذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد المعاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه.

الثالث: الاستفتاء، فيقول: للمفتي: ظلمني أبي، أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم.

الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته، كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وأخذ المكس وغيرها.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب الأعمش، والأعرج والأصم، والأعمى والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك.

فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليها، دلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة رياض الصالحين للنووي2/182 بتصرف

**قال ابن الأمير الصنعاني:**

الذم ليس بغيبة في ستة

متظلم ومعرف ومحذر

ولمظهر فسقًا ومستفت ومن

طلب الإعانة في إزالة منكر

قال عيسى لا غيبة في ثلاث: إمام جائر، وفاسق معلن، وصاحب بدعة.

قال محمد بن رشد: إنما لم يكن في هؤلاء غيبة؛ لأن الغيبة إنما هي بأن يذكر من الرجل ما يكره أن يذكر عنه لمن لا يعلم ذلك منه، والإمام الجائر، والفاسق المعلن، قد اشتهر أمرهما عند الناس، فلا غيبة في أن يذكر من جور الجائر وفسق الفاسق ما هو معلوم من كل واحد منهما، وصاحب البدعة يريد ببدعته، ويعتقد أنه على الحق فيها، وأن غيره على الخطأ في مخالفته في بدعته، فلا غيبة فيه؛ لأنه إن كان معلنًا بها فهو يحب أن يذكر بها، وإن كان مستترًا بها فواجب أن يذكر بها، ويحفظ الناس من اتباعه عليها البيان والتحصيل لابن رشد القرطبي17 /575

فإذا وقعت الغيبة على وجه النصيحة لله، ورسوله، وعباده المسلمين، فهي قربة إلى الله من جملة الحسنات الروح لابن القيم ص 240.

**إن للغيبة المباحة -التي أباحها الشارع للضرورة- ضوابط ينبغي مراعاتها، ومن هذه الضوابط:**

1- الإخلاص لله تعالى في النية، فلا تقل ما أبيح لك من الغيبة تشفيًا لغيظ، أو نيلًا من أخيك، أو تنقيصًا منه.

2- عدم تعيين الشخص ما أمكنك ذلك.

3- أن تذكر أخاك بما فيه، بما يباح لك، ولا تفتح لنفسك باب الغيبة على مصراعيه، فتذكر ما تشتهي نفسك من عيوبه.

4- التأكد من عدم وقوع مفسدة أكبر من هذه الفائدة حصائد الألسن لحسين العوايشة89-90

الغيبة تكون في جميع الصفات الخلقية والخلقية وفي جميع أمور الدنيا والدين.

وقال الغزالي: حد الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرته بنقص في بدنه، أو نسبه، أو في خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في دينه، أو في دنياه حتى في ثوبه، وداره، ودابته.

أما البدن، فذكرك العمش، والحول، والقرع، والقصر، والطول، والسواد، والصفرة، وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه، كيفما كان.

وأما النسب، فبأن تقول: أبوه نبطي، أو يحذف، أو فاسق، أو خسيس، أو إسكاف، أو زبال، أو شيء مما يكرهه، كيفما كان.

وأما الخلق، فبأن تقول: هو سيئ الخلق، بخيل، متكبر، مراء شديد الغضب، جبان، عاجز، ضعيف القلب، متهور وما يجري مجراه.

وأما في أفعاله المتعلقة بالدين، فكقولك: هو سارق، أو كذاب، أو شارب خمر، أو خائن، أو ظالم، أو متهاون بالصلاة، أو الزكاة، أو لا يحسن الركوع، أو السجود، أو لا يحسن قسمتها، أو لا يحرس صومه عن الرفث، والغيبة، والتعرض لأعراض الناس.

وأما فعله المتعلق بالدنيا، فكقولك: إنه قليل الأدب، متهاون بالناس، أو لا يرى لأحد على نفسه حقًا، أو يرى ل نفسه الحق على الناس، أو أنه كثير الكلام، كثير الأكل، نئوم، ينام في غير وقت النوم، ويجلس في غير موضعه.

وأما ثوبه، فكقولك: إنه واسع الكم، طويل الذيل، وسخ الثياب.

وقال قوم: لا غيبة في الدين؛ لأنه ذم ما ذمه الله تعالى، فذكره بالمعاصي، وذمه بها يجوز، بدليل ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها، ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها، فقال: هي في النار رواه أحمد2 /440 9673، وابن حبان13/76، والحاكم4/183 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصحح إسناده الحاكم، وصححه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 8 /172: رجاله ثقات. آفات اللسان لأبي حامد الغزالي156-157.

**التوبة**

تكون التوبة من الغيبة بالاستغفار والندم، والاستحلال من الذي اغتيب.

قال الغزالي: اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله سبحانه، ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته إحياء علوم الدين 3/154

وقال ابن القيم: والصحيح أنه لا يحتاج إلى إعلامه بل يكفيه الاستغفار، وذكره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره. والذين قالوا: لا بد من إعلامه، جعلوا الغيبة كالحقوق المالية، والفرق بينهما ظاهر؛ فإن الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه، فإن شاء أخذها، وإن شاء تصدق بها، وأما في الغيبة فلا يمكن ذلك ولا يحصل له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع. فإنه يوغر صدره، ويؤذيه، إذا سمع ما رمي به، ولعله يهيج عداوته ولا يصفو له أبدًا، وما كان هذا سبيله، فإن الشارع الحكيم. لا يبيحه ولا يجوزه فضلًا عن أن يوجبه، ويأمر به ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها، لا على تحصيلها وتكميلها الوابل الصيب 219.

**الوسائل المعينة**

إن الغيبة مرض خطير، وداء فتاك، ومعول هدام، وسلوك يفرق بين الأحباب، وبهتان يغطي على محاسن الآخرين، وبذرة تنبت شرورًا بين المجتمع المسلم، وتقلب موازين العدالة والإنصاف إلى الكذب والجور، وعلاج هذا المرض لا يكون إلا بالعلم والعمل، فإذا عرف المغتاب أنه تعرض لسخط الله يوم القيامة بإحباط عمله، وإعطاء حسناته من يغتابه، أو يحمل عنه أوزاره، وأنه يتعرض لهجوم من يغتابه في الدنيا، وقد يسلطه الله عليه، إذا علم هذا وعمل بمقتضاه من خير فقد وفق للعلاج نضرة النعيم 11/5164

**ومن الوسائل المعينة على ترك الغيبة والبعد عنها ما يلي:**

1- التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بكثرة الأعمال الصالحة، وتقديم رضاه على رضا المخلوقين.

2- زيادة الإيمان، وتقويته بالعلم النافع، والعمل الصالح.

3- أن ينشغل الإنسان بالبحث عن عيوبه، ويكف عن عيوب الآخرين وتتبعها.

4- اختيار الصحبة الصالحة التي تقربك من الله وتبعدك عن المعاصي والابتعاد عن رفاق السوء.

5- تربية الفرد تربية إسلامية سليمة قائمة على الآداب والتعاليم الإسلامية.

6- استغلال وقت الفراغ، بما ينفع الفرد ويقوي إيمانه، ويقربه إلى الله سبحانه وتعالى، من طاعات، وعبادات، وعلم، وتعلم.

7- قناعة الإنسان بما رزقه الله، وشكره على هذه النعم، وأن يعلم أن ما عند الله خير وأبقى.

8- أن يضع الإنسان نفسه مكان الشخص الذي اغتيب، ليجد أ نه لن يرضى هذا لنفسه.

9- كظم الغيظ والصبر على الغضب؛ كي لا يكونا دافعًا للغيبة.

10- الابتعاد عن كل ما يؤدي به إلى الغيبة.

عن عتبان بن مالك رضي الله عنه وهو ممن شهد بدرًا، قال: كنت أصلي لقومي بني سالم، وكان يحول بيني وبينهم واد إذا جاءت الأمطار، فيشق علي اجتيازه قبل مسجدهم، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له: إني أنكرت بصري، وإن الوادي الذي بيني وبين قومي يسيل إذا جاءت الأمطار، فيشق علي اجتيازه، فوددت أنك تأتي فتصلي من بيتي مكانا أتخذه مصلى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سأفعل. فغدا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه بعد ما اشتد النهار، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأذنت له، فلم يجلس حتى قال: أين تحب أن أصلي من بيتك، فأشرت له إلى المكان الذي أحب أن أصلي فيه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر وصففنا وراءه فصلى ركعتين، ثم سلم وسلمنا حين سلم، فحبسته على خزير يصنع له، فسمع أهل الدار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي، فثاب رجال منهم حتى كثر الرجال في البيت، فقال رجل: ما فعل مالك؟ لا أراه. فقال: رجل منهم: ذاك منافق لا يحب الله ورسوله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقل ذاك، ألا تراه قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله؟، فقال: الله ورسوله أعلم. أما نحن فو الله ما نرى وده ولا حديثه إلا إلى المنافقين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله رواه البخاري 425، ومسلم33.

فواجب على المسلم سرعة الرد على من يغتاب المسلمين

**معنى الكبر لغةً:**

الكبر: العظمة والتجبر، كالكبرياء، وقد تكــبر واستكبر وتكابر، والتكبر والاستكبار: التعظم، والكبر بالكسر: اسم من التكبر تاج العروس للزبيدي14 /8، المصباح المنير للفيومي2 /523

**معنى الكبر اصطلاحًا:**

معنى الكبر جاء تعريفه في حديث النبي صلى الله عليه وسلم فقد قال: الكبر بطر الحق، وغمط الناس رواه مسلم

91

وقال الزبيدي: الكبر: حالة يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسه أكبر من غيره تاج العروس

8/ 14

وقيل الكبر هو: استعظام الإنسان نفسه، واستحسان ما فيه من الفضائل، والاستهانة بالناس، واستصغارهم، والترفع على من يجب التواضع له تهذيب الأخلاق للجاحظ ص 32.

- الكبر من أول الذنوب التي عصي الله تبارك وتعالى بها، قال الله تعالى مبينًا سبب امتناع إبليس عن السجود لآدم: وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين [البقرة: 34].

قال الطبري: وهذا، وإن كان من الله جل ثناؤه خبرًا عن إبليس، فإنه تقر يع لضربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله، والانقياد لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق جامع البيان 1/510

وقال عوف بن عبد الله للفضل بن المهلب: إني أريد أن أعظك بشيء، إياك والكبر، فإنه أول ذنب عصى الله به إبليس، ثم قرأ: وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر [البقرة: 34[ مفاتيح الغيب 3/645

- والكبر سبب رئيس في هلاك الأمم السابقة: فهؤلاء قوم نوح ما منعهم عن قبول الدعوة، والاستماع لنداء الفطرة والإيمان، إلا الكبر، فقد قال الله تعالى على لسان نبيهم نوح عليه السلام: وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارًا [نوح: 7].

وهؤلاء قوم عاد ظنوا بسبب تكبرهم أنه لا قوة أشد من قوتهم، فقد قال الله عنهم: فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوةً أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوةً وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحًا صرصرًا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون [فصلت: 15-16].

وها هي ثمود من بعدهم ينهجون نفس النهج في الاستكبار والتعالي، فيردون دعوة الله عز وجل، ويكذبون نبيه عليه السلام:

قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحًا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون 75 قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون [الأعراف: 75-76].

وقال الله تعالى عن قوم نبي الله شعيب عليه السلام: قال الملأ الذين استكبروا من قوم ه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين [الأعراف: 88].

أما فرعون فقد ملأ الدنيا كبرًا وعجبًا وخيلاءً، حتى وصل به الحال أن ادعى الربوبية والألوهية، قال الله تبارك وتعالى:

وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين ف اجعل لي صرحًا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين [القصص: 38-40].

- والكبر سبب في الإعراض عن آيات الله والصد عنها، قال الله تبارك وتعالى: ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرًا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم [الجاثية: 7-8].

- وهو سبب للصرف عن دين الله، قال الله تبارك وتعالى: س أصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن

يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلًا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلًا ذلك بأنه م كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين [الأعراف: 146].

- وهو سبب لدخول النار والخلود فيها، قال الله تبارك وتعالى: ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم ط يباتكم في حياتكم الدنيا واستمتع تم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون [الأحقاف: 20].

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: لا يدخل الجنة من كان في ق لبه مثقال ذرة من كبر! فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق وغمط الناس رواه مسلم 91

قال النووي في شرح الحديث: قد اختلف في تأويله. فذكر الخطابي فيه وجهين:

أحدهما: أن المراد التكبر عن الإيمان، فصاحبه لا يدخل الجنة أصلًا إذا مات عليه.

والثاني: أنه لا يكون في قلبه كبر، حال دخوله الجنة، كما قال الله تعالى: ونزعنا ما في صدورهم من غل [الأعراف: 43].

وهذان التأويلان فيهما بعد، فإن هذا الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف، وهو الارتفاع على الناس، واحتقارهم، ودفع الحق، فلا ينبغي أن يحمل على هذين التأويلين المخرجين له عن المطلوب. بل الظاهر ما اختاره القاضي عياض وغيره من المحققين، أنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه. وقيل: هذا جزاؤه لو جازاه، وقد يتكرم بأنه لا يجازيه، بل لا بد أن يدخل كل الموحدين الجنة إما أولًا، وإما ثانيًا بعد تعذيب بعض أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها. وقيل: لا يدخل مع المتقين أول وهلة شرح النووي على مسلم 2/91.

وقال ابن القيم: فسر النبي الكبر بضده فقال: الكبر بطر الحق وغمص الناس، فبطر الحق: رده، وجحده، والدفع في صدره، كدفع الصائل، وغمص كلمة غمص رواية في الحديث، وهي بمعنى كلمة غمط. انظر: مشارق الأنوار 2 /135.

الناس: احتقارهم، وازدراؤهم، ومتى احتقرهم وازدراهم: دفع حقوقهم وجحدها واستهان بها مدارج السالكين،318/2.

- وعن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف؛ لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل العتل: قيل: الشديد الخصومة. وقيل: الجافي عن الموعظة. وقيل: الفظ الشديد من كل شيء وهو هنا الكافر، وقيل: العتل الفاحش الآثم وقيل: الغليظ العنيف، وقيل: السمين العظيم العنق والبطن. وقيل: الجموع المنوع. وقيل: القصير البطين. فتح الباري لابن حجر8/663.، جواظ الجواظ: قيل: الكثير اللحم المختال في مشيه. وقيل: هو الأكول. وقيل: الفاجر، وقيل: الجواظ: الفظ الغليظ المستكبر؛ فتح الباري لابن حجر8 /663؛، رواه البخاري 4918، ومسلم2853

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: احتجت الجنة والنار، فقالت النار: في الجبارون والمتكبرون. وقالت الجنة: في ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضى الله بينهما: إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء، ولكليكما علي ملؤها رواه مسلم 2846

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر عائل مستكبر أي: فقير متكبر مرقاة المفاتيح 8/3190. رواه مسلم107

يقول ابن تيمية: فهؤلاء الثلاثة: اشتركوا في هذا الوعيد، واشتركوا في فعل هذه الذنوب مع ضعف دواعيهم؛ فإن داعية الزنا في الشيخ ضعيفة، وكذلك داعية الكذب في الملك ضعيفة؛ لاستغنائه عنه وكذلك داعية الكبر في الفقير، فإذا أتوا بهذه الذنوب- مع ضعف الداعي- دل على أن في نفوسهم من الشر الذي يستحقون به من الوعيد ما لا يستحقه غيرهم مجموع الفتاوى 18/14

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته حكمة الإنسان: مقدم وجهه. انظر لسان العرب لابن منظور12 /144.، وقال له: انتعش نعشك الله، فهو في نفسه حقير، وفي أعين الناس كبير، وإذا تكبر وعتا وهصه وهصه: كسره ودقه. غريب الحديث للقاسم بن سلام 3 /361. الله إلى الأرض، وقال له: اخسأ خسأك الله، فهو في نفسه كبير، وفي أعين الناس حقير، حتى يكون عندهم أحقر من الخنزير رواه ابن أبي شيبة7 /96 34461، وأبو داود في الزهد ص 85، والبيهقي في الشعب 10 /454

- وعوتب علي رضي الله عنه في لبوسه فقال: إن لبوسي هذا أبعد من الكبر، وأجدر أن يقتدي بي المسلم رواه أحمد في فضائل الصحابة 1/542 908

- وقال الحسن: إن أقوامًا جعلوا الكبر في قلوبهم، والتواضع في ثيابهم، فصاحب الكساء بكسائه أعجب من صاحب المطرف المطرف: رداء من خز مربع، ذو أعلام. القاموس المحيط للفيروزآ بادي ص 832. بمطرفه ما لم تفاقروا التواضع والخمول لابن أبي الدنيا ص 90

- وقال وهب: لما خلق الله جنة عدن نظر إليها، فقال: أنت حرام على كل متكبر إحياء علوم الدين للغزالي

338/3

- وقال يحيى بن جعدة: من وضع وجهه لله عز وجل ساجدًا فقد برئ من الكبر التواضع والخمول لابن أبي الدنيا ص 262

- وقال أبو عثمان النيسابوري: ما ترك أحد شيئًا من السنة إلا لكبر في نفسه، ثم هذا مظنة لغيره، فينسلخ القلب عن حقيقة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، ويصير فيه من الكبر وضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه، أو يكاد، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية2 /120

- وقال الأحنف بن قيس: عجبًا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين [7051] إحياء علوم الدين للغزالي 338/3

- وقال محمد بن الحسين بن علي: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط، إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك أو كثر إحياء علوم الدين للغزالي3/339

- وسئل سليمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال: الكبر إحياء علوم الدين للغزالي 3/339

- وقال النعمان بن بشير على المنبر: إن للشيطان مصالي المصالي: شبيهة بالشرك، واحدتها مصلاة. النهاية في غريب الحديث والأثر 3/51. وفخوخًا الفخوخ: جمع فخ وهو المصيدة. القاموس المحيط للفيروزآبادي ص 256.، وإن من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله، والفخر بإعطاء الله، والكبر على عباد الله، واتباع الهوى في غير ذات الله إحياء علوم الدين للغزالي3/339

- وقال سعد بن أبي وقاص لابنه: يا بني: إياك والكبر، وليكن فيما تستعين به على تركه: علمك بالذي منه كنت، والذي إليه تصير، وكيف الكبر مع النطفة التي منها خلقت، والرحم التي منها قذفت، والغذاء الذي به غذيت العقد الفريد لابن عبد ربه2 /197

- ويقول ابن تيمية: الكبر ينافي حقيقة العبودية، كما ثبت في الصحيح: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يقول الله:

العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدًا منهما عذبته. فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية، والكبرياء أعلى من العظمة؛ ولهذا جعلها بمنزلة الرداء، كما جعل العظمة بمنزلة الإزار العبودية ص 99

**1- الحرمان من النظر والاعتبار:**

أي أن الأثر الأول الذي يتركه التكبر على المسلم إنما هو الحرمان من النظر والاعتبار. ومن حرم النظر والاعتبار، كانت عاقبته البوار والخسران المبين؛ لأنه سيبقى مقيمًا على عيوبه وأخطائه، غارقًا في أوحاله، حتى تنتهي الحياة.

**2- القلق والاضطراب النفسي:**

ذلك أن المتكبر يحب إشباعًا لرغبة الترفع والتعالي، أن يحني الناس رؤوسهم له، وأن يكونوا دومًا في ركابه، ولأن أعزة الناس وكرامهم يأبون ذلك، بل ليسوا مستعدين له أصلًا، فإنه يصاب بخيبة أمل، تكون عاقبتها القلق والاضطراب النفسي، هذا فضلًا عن أن اشتغال هذا المتكبر بنفسه يجعله في إعراض تام عن معرفة الله وذكره، وذلك له عواقب أدناها في هذه الدنيا القلق والاضطراب النفسي.

**3- الملازمة للعيوب والنقائص:**

وذلك أن المتكبر لظنه أنه بلغ الكمال في كل شيء لا يفتش في نفسه، حتى يعرف أبعادها ومعالمها، فيصلح ما هو في حاجة منها إلى إصلاح، ولا يقبل كذلك نصحًا أو توجيهًا أو إرشادًا من الآخرين، ومثل هذا يبقى غارقًا في عيوبه ونقائصه، ملازمًا لها إلى أن تنقضي الحياة، ويدخل النار مع الداخلين.

**4- الحرمان من الجنة واستحقاق العذاب في النار:**

وذلك أمر بدهي، فإن من يعتدي على مقام الألوهية، ويظل مقيمًا على عيوبه ورذائله، ستنتهي به الحياة حتمًا، وما حصل خيرًا يستحق به ثوابًا أو مكافأة، فيحرم الجنة مؤبدًا أو مؤقتًا.

**5- قلة كسب الأنصار بل والفرقة والتمزق، والشعور بالعزلة:**

ذلك أن القلوب جبلت على حب من ألان لها الجانب، وخفض لها الجناح، ونظر إليها من دون لا من عل.

**6- الحرمان من العون والتأييد الإلهي:**

ذلك أن الحق سبحانه مضت سنته أنه لا يعطى عونه وتأييده، إلا لمن هضموا نفوسهم، حتى استخرجوا حظ الشيطان من نفوسهم، بل حظ نفوسهم من نفوسهم، والمتكبرون قوم كبرت نفوسهم، ومن كانت هذه صفته، فلا حق له في عون أو تأييد إلهي.

**7- استحقاق غضب الله والتعرض لسخطه.**

ينقسم الكبر إلى ثلاثة أقسام: بعضها أشد من بعض، وإن كانت كلها مذمومة إلى الله، ورسوله صلى الله عليه وسلم، والناس جميعًا، وقد ذكر هذه الأقسام ابن حجر الهيتمي فقال: الكبر:

- إما على الله تعالى، وهو أفحش أنواع الكبر. كتكبر فرعون ونمرود حيث استنكفا أن يكونا عبدين له تعالى وادعيا

الربوبية، قال تعالى: إن ا لذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين [غافر: 60]، أي: صاغرين. لن يستنكف المسيح الآية [النساء: 172].

- وإما على رسوله، بأن يمتنع من الانقياد له تكـبرًا، جهلًا وعنادًا، كما حكى الله ذلك عن كفار مكة وغيرهم من الأمم.

- وإما على العباد، بأن يستعظم نفسه، ويحتقر غيره، ويزدريه، فيأبى على الانقياد له، أو يترفع عليه، ويأنف من مساواته، وهذا، وإن كان دون الأولين إلا أنه عظيم إثمه أيضًا؛ لأن الكبرياء والعظمة إنما يليقان بالملك القادر القوي المتين، دون العبد العاجز الضعيف، فتكبره فيه منازعة لل في صفة لا تليق إلا بجلاله، فهو كعبد أخذ تاج ملك وجلس على سريره، فما أعظم استحقاقه للمقت، وأقرب استعجاله للخزي، ومن ثم قال تعالى كما مر في أحاديث: إن من نازعه العظمة والكبرياء أهلكه، أي لأنهما من صفاته الخاصة به تعالى الزواجر عن اقتراف الكبائر 1/118

**يقول ابن قدامة المقدسي: واعل م أن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاثة درجات:**

- الأولى: أن يكون الكبر مستقرًا في قلب الإنسان منهم، فهو يرى نفسه خيرًا من غيره، إلا أنه يجتهد ويتواضع، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة، إلا أنه قد قطع أغصانه ا.

- الثانية: أن يظهر لك بأفعاله من الترفع في المجالس، والتقدم على الأقران، والإنكار على من يقصر في حقه، فترى العالم يصعر صعر خده: أماله من الكبر. انظر: لسان العرب لابن منظور4/456. خده للناس، كأنه معرض عنهم، والعابد يعيش ووجهه كأنه مستقذر لهم، وهذان قد جهلا ما أدب الله به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، حين قا ل: واخفض جناح ك لمن اتبعك من المؤمنين [الشعراء: 215].

- الدرجة الثالث ة: أن يظهر الكبر بلسانه، كالدعاوى والمفاخر، وتزكية النفس، وحكايات الأحوال في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التكبر بالنسب، فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع م نه عم لًا. قال ابن

عباس: يقول الرجل للرج ل: أنا أكرم منك، وليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى. قال الله تعال ى: إن أكرمكم عند الله أتقاكم [الحجرات: 13]، وكذلك التكبر بالمال، والجمال، والقوة، وكثرة الأتباع، ونحو ذلك، فالكبر بالمال أكثر ما يجري بين الملوك والتجار ونحوه م. والتكبر بالجمال أكثر ما يجري بين النساء، ويدعوهن إلى التنقص، والغيبة وذكر العيوب، وأما التكبر بالأتباع والأنصار، فيجري بين الملوك بالمكاثرة بكثرة الجنود، وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة292-293.

هناك مظاهر وسمات تظهر على المتكبر، في صفاته، وحركاته، وسكناته، تدل على ما وصل إليه من الكبر والعجب بالنفس، والازدراء للآخرين، ومن ذلك[ 7066] انظر: إحياء علوم الدين للغزالي3 /354.:

**- أن يحب قيام الناس له أو بين يديه:**

وقد قال علي رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار، فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام.

وقال أنس رضي الله عنه: لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له، لما يعلمون من كراهته لذلك [7067] رواه الترمذي2754، وأحمد3 /132 12367. قال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقال ابن القيم في تهذيب السنن 14 /126، وصححه الألباني في تخريج المشكاة 4698

**- ألا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه:**

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لا يزال العبد يزداد من الله بعدًًا، ما مشي خلفه [7068] رواه ابن المبارك في الزهد 1/132 394، وابن عساكر في تاريخ دمشق 72 /276

وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا يعرف من عبيده، إذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة.

ومشى قوم خلف الحسن البصري، فمنعهم وقال: ما يبقي هذا من قلب العبد.

**- أن لا يزور غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين:**

روي أن سفيان الثوري قدم الرملة فبعث إليه إبراهيم بن أدهم: أن تعال فحدثنا. فجاء سفيان، فقيل له: يا أبا إسحاق، تبعث إليه بمثل هذا؟ فقال: أردت أن أنظر كيف تواضعه.

**- أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه، إلا أن يجلس بين يديه:**

قال ابن وهب: جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد، فمس فخذي فخذه، فنحيت نفسي عنه، فأخذ ثيابي فجرني إلى نفسه، وقال لي: لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة؟ وإني لا أعرف رجلًا منكم شرًا مني.

وقال أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث تشاء رواه البخاري6072

**- أن يتوقى من مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم:**

دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنده ناس من أصحابه يأكلون، فما جلس إلى أحد إلا قام من جنبه، فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه رواه ابن أبي شيبة في المصنف 8/130. قال العراقي في تخريج الإحياء 3 /418: لم أجده هكذا والمعروف أكله مع مجذوم

وكان عبد الله بن عمر رضي الله ع نهما لا يحبس عن طعامه مجذومًا، ولا أبرص، ولا مبتلى، إلا أقعدهم على مائدته رواه ابن المبارك في الزهد 611، وابن أبي الدنيا في الجوع 56 بنحوه

**- أن لا يتعاطى بيده شغلًا في بيته:**

روي أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف، وكان يكتب، فكاد السراج يطفأ، فقال الضيف: أقوم إلى المصباح فأصلحه.

فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه. قال: أفأنبه الغلام؟ فقال: هي أول نومة نامها. فقام وأخذ البطة البطة: إناء كالقارورة. انظر: لسان العرب لابن منظور7 /261.، وملأ المصباح زيتًا، فقال الضيف: قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ذهبت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر، ما نقص مني شيء، وخير الناس من كان عند الله متواضعًا.

- أن لا يأخذ متاعه ويحمله إلى بيته، وهو خلاف عادة المتواضعين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك.

وقال علي رضي الله عنه: لا ينقص الرجل الكامل من كماله، ما حمل من شيء إلى عياله ]ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب 2 /388 وكان أبو عبيدة بن الجراح -وهو أمير- يحمل سطلًا السطل: الدلو. انظر: مختار الصحاح لزين الدين الرازي ص 147. له من خشب إلى الحمام.

**- أن يميز في إجابة الدعوة بين الغني، والفقير:**

فتراه يسارع في إجابة دعوة الغني إذا دعاه، ويستنكف من إجابة دعوة الفقير.

قال ابن قدامة المقدسي: في الجملة، فكل ما يمكن أن يعتقد كمالًا - وإن لم يكن كمالًا - أمكن أن يتكبر به، حتى الفاسق قد يفتخر بكثرة شرب الخمر والفجور؛ لظنه أن ذلك كمال مختصر منهاج القاصدين ص 293 وقال الغزالي:

اعلم أنه لا يتكبر إلا من استعظم نفسه، ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال، وجماع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي، فالديني هو العلم والعمل، والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار، فهذه سبعة أسباب:

الأول: العلم وما أسرع الكبر إلى العلماء. فلا يلبث العالم أن يتعزز بعزة العلم، يستشعر في نفسه جمال العلم وكماله، ويستعظم نفسه ويستحقر الناس، وينظر إليهم نظره إلى البهائم، ويستجهلهم. هذا فيما يتعلق بالدنيا، أما في أمر الآخرة فتكبره عليهم؛ بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم، فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه، ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم. فإن قلت: فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرًا وأمنًا؟ فاعلم أن لذلك سببين:

أحدهما: أن يكون اشتغاله بما يسمى علمًا، وليس علمًا حقيقيًا، وإنما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه، ونفسه، وخطر أمره في لقاء الله، والحجاب منه، وهذا يورث الخشية، والتواضع، دون الكبر والأمن، قال الله تعالى: إنما يخشى الله من عباده العلماء [فاطر: 28].

السبب الثاني: أن يخوض العبد في العلم، وهو خبيث الدخلة، رديء النفس، سيئ الأخلاق.

الثاني: العمل والعبادة، وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر، واستمالة قلوب الناس الزهاد، والعباد، ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا، أما في الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم بزيارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم، ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم، وتوقيرهم، والتوسع لهم في المجالس، وذكرهم بالورع، والتقوى، وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ. وأما في الدين فهو أن يرى ال ناس هالكين، ويرى نفسه ناجيًا، وهو الهالك تحقيقًا.

الثالث: التكبر بالحسب والنسب، فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب، وإن كان أرفع منه عملًا وعلمًا، وقد يتكبر بعضهم، فيرى أن الناس له أموال وعبيد، ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم.

الرابع: التفاخر بالجمال، وذلك أكثر ما يجري بين النساء، ويدعو ذلك إلى التنقص، والثلب، والغيبة، وذكر عيوب الناس.

الخامس: الكبر بالمال، وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم، وبين التجار في بضائعهم، وبين الدهاقين في أراضيهم، وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم، ومراكبهم، فيستحقر الغني الفقير، ويتكبر عليه.

السادس: الكبر بالقوة وشدة البطش، والتكبر به على أهل الضعف.

السابع: التكبر بالأتباع والأنصار، والتلامذة والغلمان، وبالعشيرة، والأقارب، والبنين، ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود، وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين.

فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض، فيتكبر من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به، أو على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده، وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى، كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه، لظنه أنه هو الأعلم، ولحسن اعتقاده في نفسه إحياء علوم الدين للغزالي3 /347-353 بتصرف

يحدثنا الذهبي عن أشر أنواع الكبر فيقول: وأشر الكبر الذي فيه من يتكبر على العباد بعلمه، ويتعاظم في نفسه بفضيلته، فإن هذا لم ينفعه علمه، فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه، وخشع قلبه، واستكانت نفسه، وكان على نفسه بالمرصاد، فلا يفتر عنها، بل يحاسبها كل وقت، ويتفقدها، فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته، ومن طلب العلم للفخر والرياسة، وبطر على المسلمين، وتحامق عليهم، وازدراهم، فهذا من أكبر الكبر، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الكبائر للذهبي ص 78.

1- تذكير النفس بالعواقب والآثار المترتبة على التكبر، سواء كانت عواقب ذاتية، أو متصلة بالعمل الإسلامي، وسواء كانت دنيوية، أو أخروية، فلعل هذا التذكير يحرك النفس من داخلها، ويحملها على أن تتوب، وتتدارك أمرها، قبل ضياع العمر وفوات الأوان.

2- عيادة المرضى، ومشاهدة المحتضرين، وأهل البلاء، وتشييع الجنائز، وزيارة القبور، فلعل ذلك أيضًا يحركه من داخله، ويجعله يرجع إلى ربه بالإخبات، والتواضع.

3- الانسلاخ من صحبة المتكبرين، والارتماء في أحضان المتواضعين المخبتين، فربما تعكس هذه الصحبة بمرور الأيام شعاعها عليه، فيعود له سناؤه، وضياؤه الفطري، كما كان عند ولادته.

4- مجالسة ضعاف الناس وفقرائهم، وذوى العاهات منهم، بل ومؤاكلتهم ومشاربتهم، كما كان يصنع النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام، وكثير من السلف، فإن هذا مما يهذب النفس، ويجعلها تقلع عن غيها، وتعود إلى رشدها.

5- التفكر في النفس، وفي الكون، بل وفي كل النعم التي تحيط به، من أعلاه إلى أدناه، من مصدر ذلك كله؟ ومن ممسكه؟ وبأي شيء استحقه العباد؟ وكيف تكون حاله لو سلبت منه نعمة واحدة، فضلًا عن باقي النعم؟ فإن ذلك التفكر لو كانت معه جدية، يحرك النفس ويجعلها تشعر بخطر ما هي فيه، إن لم تبادر بالتوبة والرجوع إلى ربها.

6- النظر في سير وأخبار المتكبرين، كيف كانوا؟ وإلى أي شيء صاروا؟ من إبليس والنمرود إلى فرعون، إلى هامان، إلى قارون، إلى أبي جهل، إلى أبي بن خلف، إلى سائر الطغاة والجبارين والمجرمين، في كل العصور والبيئات، فإن ذلك مما يخوف النفس، ويحملها على التوبة والإقلاع، خشية أن تصير إلى نفس المصير، وكتاب الله عز وجل، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وكتب التراجم، والتاريخ، خير ما يعين على ذلك.

7- حضور مجالس العلم التي يقوم عليها علماء ثقات نابهون، لاسيما مجالس التذكير والتزكية، فإن هذه المجالس لا تزال بالقلوب حتى ترق، وتلين، وتعود إليها الحياة من جديد.

8- حمل النفس على ممارسة بعض الأعمال التي يتأفف منها كثير من الناس ممارسة ذاتية، ما دامت مشروعة، كأن يقوم هذا المتكبر بشراء طعامه، وشرابه، وسائر ما يلزمه بنفسه، ويحرص على حمله، والمشي به بين الناس، حتى لو كان له خادم، على نحو ما كان يصنع النبي صلى الله عليه وسلم، وصحبه، والسلف، فإن هذا يساعد كثيرًا في تهذيب النفس، وتأديبها، والرجوع بها إلى سيرتها الأولى الفطرية، بعيدًًا عن أي التواء، أو اعوجاج.

9- الاعتذار لمن تعالى وتطاول عليهم بسخرية أو استهزاء، بل ووضع الخد على التراب وإلصاقه به، وتمكينه من القصاص على نحو ما صنع أبو ذر مع بلال، لما عاب عليه النبي صلى الله عليه وسلم تعييره بسواد أمه.

10- إظهار الآخرين بنعمة الله عليهم، وتحدثهم بها- لاسيما أمام المستكبرين- علهم يثوبون إلى رشدهم وصوابهم، ويتوبون ويرجعون إلى ربهم، قبل أن يأتيهم أمر الله.

11- التذكير دومًا بمعايير التفاضل، والتقدم في الإسلام:

إن أكرمكم عند الله أتقاكم [الحجرات: 13].

كلكم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان جعلان جمع جعل: دابة سوداء من دواب الأرض. انظر: لسان العرب لابن منظور11/112. [7082] رواه أبو داود5116 واللفظ له، والترمذي3955، وأحمد2 /361 8721 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن غريب، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب 4 /62، وصححه ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم 1 /247، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق مسند أحمد 16 /300، و حسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود 5116

12- المواظبة على الطاعات: فإنها إذا واظب عليها، وكانت متقنة لا يراد بها إلا وجه الله، طهرت النفس من كل الرذائل، بل زكتها.